

روايات مصرية للجيب
أسطورة
اللهب الأزرق
ما وراء الطبيعة
١٣

روايات مصرية للجيب

٩١٥٩

ما وراء الطبيعة

روايـــات تحبس الأنفـــاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

أسطورة اللهب الأزرق

إنهم يحترقون .. يشتعلون .. فلا يبقى منهم سوى رماد وألسنة من اللهب الأزرق .. إنهم يتلاشون من خريطة الأحياء فى ثوان . لا أحد يعرف لماذا .. ولا أحد يعرف كيف .. لكن د. (رفعت إسماعيل) كان هناك ..

وهاهو ذا يفتش عن السرّ ..

ونحن معه ....

المؤلف



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة رجل الثلوج

الثمن فى مصر

ــــــ

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الـدول العربيـة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقى بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

١٣

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

أسطورة اللهب الأزرق

روايات مصرية للجيب

●

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنَّف مصرى مائة فى المائة
لا تشوبه شبهة الترجمة أو الاقتباس
أو النقل عن أية قصص أوربية .

●

مراجعة لغوية

الأستاذ/ محمد شفيق عطا

●

إشراف

الأستاذ/ حمدى مصطفى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية ـ المكتبات ١٠ ـ ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

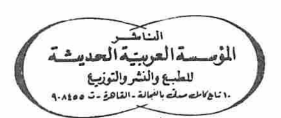
ماوراء الطبيعة

روايــــات تحـبس الأنفـــــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

١٣

أسطورة اللهب الأزرق

بقلم :
د. أحمد خالد توفيق


الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

مقدمة

الحكاية الثالثة عشرة ..!

لماذا تشاءم الأقدمون من هذا الرقم ؟.. إن لهذا قصة طويلة سأحكيها لكم يومًا ما ، حين أتناول أسطورة الرقم المشئوم ... أما الآن فدعونى أقل لكم إننا قوم لا نتطير ولا نتشاءم ونحب الفأل ..

أسوأ ما سيحدث لنا اليوم - وأرجو ألا يحدث - هو أن بعضكم قد لا يحب هذه الحكاية .. فإذا شعر أحدكم بذلك فليلمنى أنا ولا يلم الرقم (١٣) !..

أنا د. (رفعت إسماعيل) .. الشيخ الطاعن فى السن الذى كان يومًا ما طبيبًا شهيرًا ، ومحارب خرافات ، ومنقبًا فى كهوف ما وراء الطبيعة ..

وكما قلت لكم مرارًا .. لم أتزوج قط لأن من عاش حياتى لا يتزوج .. هذا هو كل ما أستطيع قوله عن نفسى ..

والآن دعونا ندخل عالمًا آخر من المشاكل والشخصيات ، ونتعرف على أسطورة جديدة من التى ملأت أحلامى بالكوابيس ..

اللهب الأزرق ..

هل سمعتم عنه ؟

هل تخيلتم كيف يبدو ؟..

أنا سأريكم اللهب الأزرق ، وسأحكى لكم عن أسراره .. إن القصة حقيقية تمامًا ومعروفة .. لكنى سأجعلكم تعيشون فيها لحظة فلحظة .. وستعرفون ..

إن العجوز (رفعت إسماعيل) لم يزل قادرًا على أن يكون مسليًا ..

فقط لا تزعجونى بالتعليقات ..

وأصغوا لى جيدًا ..

★ ★ ★

١ـ رحلة جديدة ..

لم أكن خائفًا ..

فقط كنت فى حالة ذهول تام لأننى لم أجرؤ قط على تخيل أن كل هذا ممكن .. لم أتصور أن هناك شيئًا بهذه القسوة ..

لم أكن خائفًا ..

فقط انتصبتْ الشعيرات الباقية فى رأسى وعلى ساعدى، وشعرت كأن الجليد يتكاثف فوق عمودى الفقرى ..

لم أكن خائفًا ..

لكن الهاجس قال لى إننى يجب أن أولى الأدبار فى الحال إذا ما رغبت فى النجاة، وكالعادة تجاهلته متظاهرًا بالشجاعة ..

كان الدخان يفعم الهواء حتى أننا كدنا نبصق رئتينا من فرط السعال .. صاح (هارى) وقد بدا لى كأحد أبطال أفلام (الوسترن) بشعره الأشقر المنتثر على وجهه وعضلاته القوية :

ـ « (رفعت) !.. يجب أن نهشم الباب .. » .

كان الباب الخشبى العملاق يقف أمامنا متهكمًا من محاولاتنا الخرقاء .. إلا أننا تراجعنا للوراء واندفعنا بكتفينا موجهين له أعنف ضربة ممكنة .. معذرة !.. لم نوجه الضربة للباب بل لكتفينا !..

ـ « (هارى) !.. لا جدوى .. فلنحضر ما يصلح لتهشيم الباب .. » .

ـ « لا وقت لذلك .. حاول ثانية .. » .

ونادى فى هستيريا عالمًا أنه لن يتلقى ردًا :

ـ « مس (جونز) ! » .

ثم إننا وثبنا كقذيفة المدفع نحو الباب متوقعين نفس الكدمات السابقة لكنه كان قد سئم الصمود .. وسرعان ما انفتح الباب لنجد نفسينا واقعين على الأرض مهشمى الأوصال .. وفى إعياء نهضنا ..

كان الدخان يفعم المكان ويجعل الرؤية متعذرة ..

لكننا ـ وسط سعالنا ودموعنا ـ نجحنا فى اختراق الغشاوة .. واستطعنا أن نرى ما انتهى إليه الحال فى الداخل ..

يا الله !.. ساعدنى على أن أنسى ..

★ ★ ★

النصف الأول من عام ١٩٦٧

أحزم حقائبى متأهبًا للسفر إلى الولايات المتحدة ..

كنت قد خرجت لتوى من مغامرتى مع البيت .. البيت الذى اشتاق لأصدقاء الصبا فقرر أن يعابثهم بألعاب الموت ..، وكنت قد فارقت هؤلاء الأعزاء بعد المعاناة المشتركة التى عشناها معًا .. فارقتهم على وعد باللقاء الذى لن يتم كالعادة .. لكنى كنت راضيًا سعيدًا .. مكتفيًا بالذكرى المشتركة التى برغم شناعتها لم تكن سيئة إلى هذا الحدّ ..

أحزم حقائبى بينما غيوم الحرب تلوح فى الأفق ..

الكل يصارحنى :

- « هل أنت مجنون ؟.. ليس هذا وقتًا مناسبًا للسفر .. إن شهر (يونيو) لن يمرّ دون حرب .. » .

لكنى مضطر للسفر ..

إن أعمالًا كثيرة تنتظرنى هناك ولا أتصور لحظة أن أؤجل كل هذا العمل إلى أن تستقر الأمور ، فقط ودّعت (هويدا) وأصدقائى ثم ركبت الطائرة متجهًا إلى الولايات المتحدة عاقدًا العزم على أن تستغرق رحلتى أسبوعًا أو عشرة أيام على الأكثر ..

أنا لا أحب الولايات المتحدة ولا أجد نفسى فيها .. وأفضل عليها أوربا التى تعبق بالتاريخ وندوب المسامير التى دقها مئات المفكرين فى بناء الحضارة البشرية .. إن الولايات المتحدة ثرية نعم .. متقدمة حقًا .. لكنها خالية من الحياة، وكما قال المفكر المصرى أ.د. (عاطف العراقى) فإن التقدم موجود فى أمريكا لكن الحضارة موجودة فى أوربا .. وشتان ما بين التقدم والحضارة !، شتان ما بين الثراء والذوق .. شتان ما بين البهرجة والأناقة ..

لحسن الحظ أننى لن أقضى وقتًا طويلًا فى بلد محدثى النعمة هذا .. على أننى - بعد أن أنهيت أعمالى - طلبت رقم هاتف صديقى الحميم مهندس الكمبيوتر (هارى شيلدون) .. هل تذكرونه ؟.. إن من قرءوا مغامراتى مع (الزومبى) فى (جامايكا) لن ينسوا (هارى شلدون) أبدًا وزوجته (لندا) وطفلهما الشقىَ الجميل ..

كان (هارى) يقيم فى (فلوريدا) كما تذكرون .. وكنت أنا فى ولاية (بنسلفانيا) فى (هاريسبرج) عاصمة الولاية، ولم أنس بالطبع أن أجعل ثمن المكالمة على المتلقى !.. إلا أن هذا لم يثر حفيظته بل إنه أصرَ على أن يأتى لى فى (بنسلفانيا) خصيصًا كى يكرم وفادتى ما دمت عاجزًا عن اللحاق به فى (فلوريدا) ..

وهكذا ..

وجدت ذلك الشاب الأشقر مديد القامة واقفًا فى بهو الفندق الذى أقيم به .. كان يرفع قبضته فى الهواء صائحًا بحركة تمثيلية أثارت انتباه كل الموجودين :

- « (كوديكا) !.. (كوديكا) !.. » .

والكلمة - إن كنت نسيت - معناها (إلى الجحيم) بلغة سكان (جامايكا) المحلية .. إنه يمزح !.. لكنه مزاح سمج .. المهم أننى هرعت نحوه كى أخرسه .. وتحملت - فى صبر - لكماته على الكتفين وصيحاته الهستيرية على الطريقة الأمريكية :

- « هلم يا صغيرى !.. لا تلعب دور الرزين البارد .. دعنا نر أى وغد عجوز صرته ! » .

- « أ .. (هارى) .. هلا كففت عن الصراخ لحظة ؟.. إنك تفزعنى .. » .

مشكلة هؤلاء الأمريكيين هى أنهم لا يخجلون .. ولا يخشون أن يراهم الآخرون سخفاء ، لهذا يفعلون ما يتبادر لذهنهم عفو الخاطر ..

- « لقد قطعت مسافة طويلة من (فلوريدا) خصيصًا لأجلك .. وهأنتذا تعاملنى كرفيق زنزانة قديم جاء ليعيد لك ذكرى ماض كريه ! » .

وصعدنا إلى حجرتى .. وطلبت له كوبًا من العصير ..

- « هل تذكر مغامرتنا مع (الزومبى) ؟.. هى .. هى !.. والأم (مارشا) ؟ » .

- « ومن ينساها ؟ » .

وجلسنا نتحدث عن الماضى .. وعن أحواله وأحوالى .. بالطبع لم أنس أن أحكى له قصتى مع (العساس) ومع لعنة الفرعون ومع البيت و .. و ...، وهنا وجدت عينيه تتسعان وفمه ينفتح كالأبله :

- « (رفعت) !.. دعنى أصارحك .. أنك لست إلا واحدًا من اثنين .. إما كاذب كبير وإما أتعس سكان الأرض حظًا ..! » .

- « أنا لا أحب الكذب .. وعلى كل حال أنت عشت معى قصة (الزومبى) .. » .

- « إذن فأنت منحوس إلى حدّ لا يصدّق .. » .

وحك رأسه فى حيرة .. وأردف :

- « هل تعرف ؟.. هناك فى دراسات البيولوجيا الحيوية ما يؤكد أن هناك أشخاصًا تحدث لهم المتاعب أكثر من سواهم .. إنهم ليسوا أكثر خرقًا ولا غباء من الآخرين .. لكن هناك شيئًا ما يجعلهم الأكثر إبتلاء .. » .

- « أصدقك تمامًا .. » .

وبعد هنيهة تفكير بدأت أسأله عن أسرته .. فقال إنهم جميعًا بخير ..، وكم من الوقت ينوى أن يمضيه معى ؟..
حوالى أسبوع خاصة وأن رحلتى تنتهى بعد أسبوع، وبالتالى فلا داعى لإضاعة الوقت .. هلم نمرح على الطريقة الأمريكية ..

★ ★ ★

ولكن ما هو المرح المتوقع فى ولاية حجر الأساس الأمريكية ؟..
لا شىء سوى مصانع الحديد والصلب المنتشرة فى كل مكان .. وربّما نزهة على شاطىء بحيرة (إيرى) .. ثم لا شىء أكثر سوى الجو الأمريكى العام ..
صحيح أنك على كثب من (نيويورك) و (أوهايو) و (فرجينيا) ـ وكل منها تحمل ما تحمله من ارتباطات فى الذهن ـ لكنك برغم ذلك بعيد .. بعيد جدًا ..
ستدخل ألف مطعم لتتناول شطائر (الهمبرجر) و (الكلاب الساخنة) .. وستذهب للسينما مرارًا .. وتركب زورقًا فى البحر محاولًا تناسى دوار البحر اللعين .. سيعلمونك مضغ اللبان الأمريكى والكلام من أنفك والسيجارة متدلية من شفتيك ..
ستذهب للملاهى الليلية لتمزق طبلتى أذنيك نغمات الـ (روك أند رول) وعلى الأرض تسيل أنهار الجعة فى حين يتلوى الراقصون كأنهم فى الجحيم ..

وترى عصابات الدراجات البخارية على كل منها شاب أخرق يرتدى سترة جلدية سوداء .. ولربّما ـ إذا حالفك الحظ ـ لا تتلقى علقة بالجنازير أو تُسرق دولاراتك المعدودة ..

هذه هى (أمريكا) ..

لا أدرى لماذا يمزقنى الحنين لـ (كفر بدر) هذه الأيام بالذات ؟!

★ ★ ★

كنا نقطن فى فندق صغير على أطراف الولاية نتخذه كنقطة انطلاق لجولاتنا المتعددة ..

وأتاح لى صغر حجم الفندق جوًا حميمًا أمكننى فيه أن أعرف سكان الفندق بشكل أفضل، وبالتالى كان باستطاعتى أن أقسمهم إلى أنماط أو مجموعات متفرقة ..

أولًا : كانت هناك مجموعة الشيوخ الذين يجلسون ـ كالبوم ـ يرمقون ما يدور حولهم فى شك .. وكلهم إنجليز ..

ثانيًا : مجموعة الشباب المرح وهم عدد من الفتيان والفتيات المخطوبين أو المتحابين أو المتزوجين ..

ثالثًا : مجموعة (زهور الحائط) ـ كما يقول الأمريكان ـ وهى مجموعة من الانطوائيين الصامتين الذين يراقبون ما يحدث دون ضيق ولا شغف .. ولا تستطيع أبدًا أن تعرف فيم يفكرون ..

رابعًا : مجموعة الفضوليين الذين يراقبون المجموعات الثلاث الأخرى فى اهتمام .. وأفراد هذه المجموعة اثنان فقط .. أنا و (هارى) !..

خامسًا : الإدارة .. وتتكون من (جين) الحسناء المرحة ذات الميدعة البيضاء والغمازتين .. مس (جونز) مديرة الفندق العانس العجوز الشمطاء .. و (باتريك أوكونور) الساقى ذى الأصل الإيرلندى .. ثم طاهيين ..

هناك ـ كذلك ـ كلبان وقط ..

هذه هى الخلطة البشرية المقيمة بالفندق قدمتها لك على غرار قصص (أجاثا كريستى) .. وما دمت أتبع أسلوب (أجاثا كريستى) فإن لك أن تتوقع مصيبة ما وكيف يتفاعل معها البشر الموجودون ..

حسن .. إن حدسك لم يخطئ كثيرًا ..

بالفعل ستحدث كارثة ..

لكنها لن تكون جريمة قتل يميط القناع عنها (هركيول بوارو) .. بل هى شىء آخر .. شىء بشع .. أبشع من كل جرائم القتل التى سمعت عنها ..

ولكن ....

دعنا لا نسبق الأحداث ...

★ ★ ★

الجــزء الأول

حادث غير متوقع

تحكيه (جين) خادمة الغرف

« إن لى عيبًا أصارحكم به هو أننى لا أحب الجثث المحترقة !، لربّما أدى هذا إلى صعوبات فى تعاملى مع المشاكل اليومية لهذا الفندق .. لكنى أرجو أن تغفروا لى ذلك العيب ! » .

★ ★ ★

تقول (جين) :

عجوز شمطاء هى مس (جونز) مديرة الفندق .. لكنى أحبها بلا تحفظ .. وهى - أؤكد لكم - تخفى تحت شعرها الأبيض المعقوص عقلًا ذكيًا نابضًا وقلبًا شفافًا مُفعمًا بالعواطف ..

ولولاها لما تحملت هذه الحياة المملة .. وتظرف المتظرفين ومن يحسبون أنفسهم فاتنين للنساء خاصة ذلك الإيرلندى السخيف (باتريك أوكونور) الساقى الذى يحسب أن كونى زميلته فى العمل يجعلنى مِلكه بشكل أو بآخر ..

وتيرة حياتى لا تتغير فى هذا الفندق ..

فى الصباح أستيقظ من النوم قبل الجميع فى غرفتى الحقيرة ، فأرتدى ثيابى وأطعم القط والببغاء وأهرع إلى المطبخ لأجد الطاهيين عاكفين على إعداد الإفطار ..، وتكون مس (جونز) قد صحت من نومها وجاءت لتراقب سير العمل .. أما أنا فأعد موائد الإفطار سريعًا ..

عندئذ يكون السيد (أوكونور) قد وصل وبدأ يداعب خصلات شعره الأشقر فى خيلاء ، ويقول عبارته السمجة المعتادة :

- « هاى سندريللا ! » .

فأهزّ رأسى فى سأم .. وأعاونه فى ترتيب المقاعد على حين يبدأ النزلاء ـ هؤلاء الكسالى ـ يتجمعون فى قاعة الطعام .. هذه المجموعة المعتادة فى فندقنا .. دائمًا السياح الإنجليز الشيوخ الذين يرمقون فى فضول ما يدور حولهم .. ودائمًا الشبان المتظرفون مع فتياتهم المائعات .. ثم (زهور الحائط) .. دعك ـ بالطبع ـ من الشاب الأمريكى الوسيم الأشقر ومرافقه الأصلع النحيل ذى النظارة السميكة .. هذا الأخير لا يمكن أن يكون أمريكيًا أو أوربيًا .. بالواقع هو لا يبدو شبيهًا بأية جنسية من جنسيات الأرض!، وهو يدخّن كقطار عتيق من القرن الماضى ولا يكف عن اختلاس النظر للآخرين !..

ويبدأ الجميع فى التهام طعام الإفطار ـ كأفراس النهر فى حديقة الحيوان ـ فأفارقهم صاعدة إلى الطابق العلوى لأرتب أسرتهم وأستبدل البياضات مع بعض الكنس الذى لابد منه ..

خمسون غرفة أقوم بترتيبها .. ربّما أكثر أو أقل .. وهو مجهود مُرعب لكن ليس مستحيلًا ..

بالطبع لابد من أن أجد أشياء غريبة من حين لآخر نسيها هؤلاء ..

لن أحدثك عن النمر الوليد الذى وجدته فى غرفة أحد أثرياء الجنوب .. ولا عن مجموعة علب الثقاب التى يحتفظ بها أستاذ جامعى من (منيسوتا) .. ولا مجلات الأطفال التى وجدتها عند عجوز تجاوز عمرها السبعين ..

سأحدثك عن شىء وجدته فى الغرفة رقم (٢٩) اليوم فقط ..

إن ساكن هذه الغرفة هو عجوز إنجليزى متحذلق يحمل طابع بناة الإمبراطورية الأوائل .. بترفعه وتحذلقه ولغته المنمقة التى درس كل مخارجها الصوتية قبل أن ينطقها .. يُدعى هذا العجوز بـ (لورد كينزى) ولا أعرف سبب نزول لورد مثله فى فندقنا المتواضع ..

وأنا لست حمقاء ..

إن هذا الـ (كينزى) يخشى شيئًا ما ولعله مختبئ فى فندقنا لمجرد الفرار من هذا الشىء ..

أنا أفهم هذه النظرات المذعورة القلقة المتوترة، وأفهم تلكم الالتفاتات المستريبة إلى ما وراء الكتفين ..، ومراقبته الحذرة لكل وجه جديد .. أنا أعرف هؤلاء اللصوص الفارين الذين يتظاهرون بأنهم من علية القوم .. وأعرف كل شىء عن النازيين القدامى الفارين من انتقام اليهود .. الجديد هنا هو أن اللصوص والنازيين يختبئون ـ دائمًا ـ فى أمريكا الجنوبية وليس فى (بنسلفانيا) ..

لربّما كانت بوصلة هذا الـ (كينزى) معطلة حين جاء لنا ..!

دعونا من هذا ..

كنت أقول لكم إننى بدأت فى تنسيق غرفته ..

حين سقط شىء ما على الأرض وتهشم ..

وهنا أجد لزامًا علىّ أن أقدّم اعترافًا صغيرًا .. لقد سقط هذا الشىء حين فتحت الدولاب الجدارى لأرى ما به .. أعلم أن هذا الفضول ليس محمودًا ويتنافى والأمانة ، لكنى ـ أقسم لكم ـ لم أبغ سوى إلقاء نظرة .. مجرد نظرة .. لقد سبق لى فى مرات عديدة أن وجدت أكداسًا من المجوهرات ملقاة بكل إهمال لكنى لم أمسّها لأننى لست لصة .. أنا ـ فقط ـ فتاة فضولية أخرى ..

لكن حظى العاثر جعلنى أسقط شيئًا كان مستندًا إلى (ضلفة) الدولاب ، وهذا الشىء ـ كما قلت لكم ـ تهشم ..

يا له من مأزق ..!

كان هذا الشىء عبارة عن تمثال .. تمثال قبيح جدًا بارز الشفتين وقد تحوّل إلى عشرة أجزاء أو أكثر .. هناك حيث تناثر على أرضية الغرفة الصلبة ..

ترى ماذا أفعل ؟



كان هنا الشيء عبارة عن تمثال .. تمثال قبيح جدًا بارز الشفتين وقد
تحوّل إلى عشرة أجزاء أو أكثر ..

هل ألصق الأجزاء ؟.. من السذاجة أن أعتبر هذا حلًا لأنه يجب أن يكون أعمى ـ الرجل لا التمثال ـ كى لا يلاحظ ما حدث ..

هل أحمل له البقايا وأعتذر له بلباقة ؟ لكن ماذا لو كان التمثال ثمينًا ؟ وماذا لو لم يقبل اعتذارى ؟..

أما لو أغلقت الغرفة ـ ببراءة ـ وتناسيت الأمر ، فإنه سيعرف بالتأكيد أننى المسئولة .. لأننى الوحيدة التى تملك مفتاح الغرفة سواه ..

إن هذا اليوم اللعين سينتهى بطردى أو ما هو أسوأ ..

ماذا أفعل يا ربى ؟..

وهنا سمعت صوت رجل يتنحنح على الباب ..

★ ★ ★

كان هذا هو (باتريك) ..

للمرة الأولى فى حياتى أشعر بالراحة لأننى أقابل هذا السمج .. دخل الغرفة وقد بدت الدهشة فى عينيه الزرقاوين :

ـ « (جين) !.. ماذا قد حدث » ؟..

جلست على مقعد خشبى كان هنالك .. وهمست فى استسلام :

ـ « كما ترى ..! » .

ـ « لم أتصور أن تفعلى أنت بالذات هذا .. » .
صحت فى غلّ وقد ضايقتنى النغمة (التربوية) فى صوته :
ـ « اسمعنى أيها الإيرلندى .. لقد تهشم وانتهى الأمر ولا حاجة بى لسماع آرائك فى الفتيات المهذبات .. لم أطلب منك أن تتزوجنى .. » .
هتف بلهجته الإيرلندية وهو ينحنى ليلتقط قطعة من الحطام ليتأملها عن كثب :
ـ « هلا هدأت قليلًا ؟.. يبدو لى هذا التمثال ثمينًا .. » .
ـ « كان ...! » .
ثم إنه جلس على حافة الفراش وشرع يداعب شعره الأشقر مفكرًا .. لحظات من الصمت ثم غمغم فى شرود :
ـ « سيعرفون أنك المسئولة حتمًا .. » .
ـ « نعم وستطردنى (الريّسة) .. أعرف كل هذا .. » .
وهنا ابتسم فى خبث والتمعت نظرة ظفر فى عينيه :
ـ « ولكن عندى فكرة .. » .
ـ « أنت محظوظ .. » .
ـ « سنجعل الأمر يبدو كجريمة سرقة عادية ..! » .
ـ « ماذا ..؟!.. » .

وشرع ـ فى حماس ـ يحكى لى خطته ..، إن عدم وجود آثار عنف يوحى بلا شك أن من عبث بمحتويات الغرفة هو أنا .. أما لو ظهرت آثار تفتيش وآثار عبث بقفل الباب فهذا يدلّ على أن الجانى هو أى واحد من الذين لا يملكون مفتاحًا .. واحد من النزلاء أو (أوكونور) أو مس (جونز) نفسها .. المهم أن الشرطة أو صاحب الغرفة لن يعرفوا أبدًا من فعلها .. فكرة لا بأس بها .. لكن ..

ـ « لكننى لن أسرق شيئًا ! » .

ـ « ومن قال ذلك ؟.. سنفترض أن اللص لم يجد ضالته وانصرف بخفّى حنين .. هذا وارد .. » .

كان (باتريك) يرتدى قفازين أبيضين بحكم عمله ساقيًا .. لهذا شرع على الفور ينفذ خطته المرتجلة لإنقاذ الموقف .. ولم ير ضرورة لإزالة بصماتى لأن وجودها متوقع .. فى البدء رتبت الحجرة وأغلقتها .. كأننى أنهيت عملى قبل السرقة .. ثم جاء (باتريك) وبدأ ـ بسكين صغير ـ يعبث فى القفل ثم فتحه بشىء من العنف .. ثم إنه دخل الغرفة وفتح أدراج الكومودينو وباقى ضلفات الدولاب وألقى ببضعة أشياء على الأرض ..

وهنا وجدنا لدهشتنا قلادة ذهبية غريبة الشكل بين هذه الأشياء .. قلادة تحمل رأسًا شبيهًا برأس التمثال المهشم .. وكانت على ظهرها نقوش لم يتسع الوقت كى نتأملها ..

نظر لى (باتريك) فى حيرة .. ثم همس :

- « هل تعرفين يا (سندريللا)؟.. ربّما كان من الحكمة أن تأخذى هذه القلادة معك .. إذ كيف نبرر أن يتركها لصنا المفترض ؟ » .

- « قلت لك إننى لن أسرق ! » .

- « ومن قال إنها سرقة ؟.. سنخفيها بعض الوقت فقط ثم ندسها فى حقائبه بعد أن تنتهى ضوضاء المشكلة .. » .

قالها وهو يدسّ القلادة فى جيب الميدعة الخاصة بى ..

كان كلامه منطقيًا .. ولم أستطع سوى أن أقبل فى استسلام ما طلب ..

- « والآن .. هيًا نهرب قبل أن يعود .. » .

واختفى من الغرفة تاركًا إياى مبلبلة الذهن ..

حَل أحمق لتصرف أحمق .. وها نذا قد تورطت حتى أذنىّ فى هذه اللعبة القذرة .. يقولون إن الفضول قتل القط .. ومن الواضح أنه قادر على تدمير حياة (سندريللا) ذاتها ..

سامحنى يا إلهى وأنقذنى من هذه الورطة ..

المشكلة أننى مضطرة للتمادى فى هذا الموقف إلى آخره .. فلا يجب أن يجد رجال الشرطة هذه القلادة بين حاجياتى وهى - حتمًا - أول حاجيات سيتم تفتيشها فى هذا الفندق ..

لهذا تسللت إلى حجرة مس (جونس) ولم تكن موجودة طبعًا ..

إلى المخبأ الذى عرفته بالصدفة فى غرفتها .. إن سريرها من طراز عتيق له مقبضان من النحاس المجوّف عند رأسه .. وهذان المقبضان متحركان يمكن دومًا إخفاء ما تريد فيهما .. والغريب هو أنها لاتعرف ذلك حتى اليوم .. لهذا كنت أصنع مدخراتى فى هذا المكان طيلة العام الماضى بعيدًا عن غرفتى مطمئنة إلى أن أحدًا لن يجد هذا المخبأ المتقن .. سأخفى هذه القلادة يومين أو أكثر إلى أن أجد سبيلًا لإعادتها دون ضوضاء ..

إن أحدًا لن يشك فى مس (جونز) .. ولو حدث فإنه لن يفكر فى هذين المقبضين أبدًا ..

وأتممت مهمتى فى ثوان وعدت أواصل عملى ..

★ ★ ★

ما إن دخلت المطبخ حتى وجدت (باتريك) يصيح فى مرح وهو يفتح ذراعيه :

ـ « (سندريللا) !.. أخيرًا عاد الهدوء ! » .

تبدلت ملامح وجهى فى تنمر .. وقلت له ضاغطة على كل حرف من حروف كلماتى :

ـ « اسمع يا (باتريك) !.. كانت ورطة أنقذتنى منها وأنا لك شاكرة لكن إذا حسبت لحظة أن هذا يعطيك حقًا ما أو أن هذا السرّ المشترك قد قرّب بيننا بشكل أو بآخر .. فأنت مخطئ ! » .

ثم تناولت زجاجة لبن من الثلاجة وأزاحت غطاءها المعدنى :

ـ « أنا لست مدينة لك إلا بالشكر ! » .

وجرعت اللبن البارد غير عابئة بالخيط الذى بدأ يسيل على ذقنى على حين تأملت ـ فى رضا ـ نظرة خيبة الأمل التى انهزمت بها ملامحه .. كنت قاسية لكننى لا أريد منه أن يتبسّط فى الحديث عن (سرنا المشترك) .. أو أن يحسب لحظة واحدة أننى مدينة له بمستقبلى ..

ـ « أنت قاسية يا (سندريللا) .. امسحى ذقنك ! » .

ـ « اسمى (جين هاربروك) .. وذقنى هى ذقنى أنا ولا دخل لك فيها .. » .

هزّ كتفيه فى تظاهر باللامبالاة وشرع يمارس عملًا وهميًا لمجرد أن يخفى الجرح الذى أصاب كبرياءه ..

كان يدندن لحنًا لإحدى أغنيات (توم جونس) السخيفة فتركته وبدأت أعدّ نفسى للعاصفة القادمة ..

ستكون لحظات قاسية .. ولأسمعنّ الكثيـــر من الصراخ ..

لكنى سأتحمل .. يجب أن أتحمل ..

★ ★ ★

مرّ اليوم دون مشاكل ..!..

وهذا فى حدّ ذاته أمر غريب ..

أمام عينى صعد هذا الـ (كينزى) إلى غرفته ودخلها .. ثم غادرها .. وعاد لها بعد ساعة .. هكذا !.. ولا كلمة .. ولا حرف ..

لقد وجد الرجل آثار المذبحة التى حدثت لغرفته .. آثار السطو والتمثال المهشم .. و .. و ... وكل ما جهدنا كى نقنعه به .. وبرغم هذا .. برغم كل هذا ـ يا إلهى الرحيم ـ لم يبد ردّ فعل واحدًا !

كنت أتوقع أن أسمع صراخه وأن يملأ رجال الشرطة ردهات الفندق بعد ثوان ، وأن تقوم الدنيا فلا تقعد .. لكن شيئًا من ذلك لم يحدث .. أى نوع من الرجال هو ؟..

ما الذى يدعو رجلًا عاقلًا كى لا يحدث ضوضاء حين تُقتحم حجرته ويُعبث بها بهذه الفظاظة ؟..

★ ★ ★

إنه لغز ..

من المستحيل أن أفترض أنه لم يلحظ .. الصواب هو أن نقول إنه لايريد شوشرة .. ولماذا لايريد شوشرة ؟.. الإجابة واضحة .. لأن حدسي لم يخطئ حين افترضت أنه هارب من العدالة ..

ومعنى هذا أن هذا الرجل سيبدأ البحث عن مقتحم حجرته ..

ولما كان سيعتمد على الجهود الذاتية فى البحث فإن هذا يعنى أن عقاب اللص لن يكون تقليديًا أبدًا !..

إن رأسى يكاد ينفجر ..

لربّما كان الصمت والترقب هما الحلّ الأحوط ..

★ ★ ★

فى المساء ذهبت إلى مس (جونز) حاملة سلطانية من الحساء ـ عشاءها ـ معها ليمونتان وزجاجة الدواء ..

كانت جالسة على حافة الفراش وقد فكت خصلات شعرها الأشيب لتنساب على كتفيها .. وكانت تقرأ الكتاب المقدس كعادتها ليلًا ..

لشد ما أحب هذه المرأة وأرتاح لها ..!..

ما إن رأتنى حتى أغلقت الكتاب وتأملتنى فى شرود .. ثم همست :

ـ « (جين) ؟.. ماذا تخفين عنى ؟ » .



كانت جالسة على حافة الفراش وقد فكت خصلات شعرها
الأشيب لتنساب على كتفيها ..

عيناها الرماديتان المغلفتان بغشاوة من ضمور الشيخوخة ترمقاننى فى تركيز .. لا أطيق هذه النظرة .. لا يجب أن تفلت منى نظرة إلى المقبضين النحاسيين حيث سرّى الصغير ..

هززت رأسى بمعنى أننى لا أدرى عم تتحدث .. فأردفت :

- « أنت طموح جدًّا يا بنيتى .. طموح وجميلة وفقيرة .. أنا أفهم كل هذا .. والفتاة فى مثل ظروفك ليس لها سوى سبيلين فى الحياة .. إما أن تتزوج من رجل ثرى أو تغدو غانية ! » .

عم تتحدث هذه المرأة بالضبط ؟

- « ولما كنت أستبعد السبيل الأول وأنأى بك عن الثانى فإننى أهيب بك أن تتخلى عن طموحك المجنون .. » .

وربتت على كتفى فى وداعة :

- « إن (باتريك) يحبك .. وهو شاب لا بأس به .. فلماذا لا ...؟ » .

- « لا ..! » .

صحتُ فى تنمر - على الرغم منى - فأجفلتْ .. ثم مدّت الملعقة إلى الحساء ورشفت رشفة .. وعادتْ لشرود الذهن ..

عسى أن تكون المحادثة قد انتهت ..

بعد ثوان من المضغ والشرود عادت ترفع كشافيها الرماديين الفاضحين نحوى وسألتنى وهى تمسك ذقنى بين أناملها :

ـ « (جين) .. ماذا تخفين عنى ؟ » .

لم أردّ .. فهمست وهى تطلق سراح ذقنى :

ـ « أنتِ فى رأيى كصفحة كفى .. أعرف كل تجاعيدها وأسرارها ، وثقى أنك لن تخفى عنى شيئًا .. ولكن ما دمت تؤثرين الصمت فسأتركك لشأنك ولكن ثقى أننى أشعر بحزن مرير ..! » .

سألتها بصوت مبحوح محاذرة أن أنظر لعينيها :

ـ « هل تريدين شيئًا آخر يا سيِّدتى ؟ » .

ـ لا يا ملاكى .. » .

ـ « إذن عمتِ مساء ! » .

وخرجتُ من الغرفة مبلبلة الفكر ..

إنها تعرف .. ولكن ماذا تعرف بالضبط؟.. هل وشىء (باتريك) الوغد بى ؟.. هذا هو التفسير الوحيد لكلامها الكثير ومحاولتها لعب دور الخاطبة فيما يتعلق به .. ولكن .. لا .. إنها امرأة تعيش بالمُثل ولا تقبل أنصاف الحلول .. ولو علمت ما حدث لكان رجال الشرطة الآن يصطحبوننى إلى المخفر ..

إذن هو أخبرها بقصة ما اختلقها .. وفى الغالب زعم لها أننى أنسج حبائلى حول نزيل ثرى لأتزوجه .. هذا هو التفسير الوحيد لكلامها ..

صبرًا أيها الإيرلندى ..!.. إن غدًا لناظره قريب ..

كنت سائرة فى الردهة شاردة الذهن حين وجدت اللورد (كينزى) واقفًا أمام أحد الأبواب يتبادل حديثًا هامسًا مع الأمريكى الوسيم ومرافقه النحيل الأصلع ..

وما إن رآنى حتى تبدلت نظراته إلى نظرات حادة مرتابة .. وشرع يراقبنى كالصقر .. كالصقر !..

إن هذا الرجل يعرف كل شىء ..

أقسم على ذلك ..

ولكن ما الذى يدبره لى بالضبط ..؟.. وما سرّ لقائه بهذين الرجلين للمرة الأولى ؟..

إن أيامًا عصيبة تنتظرنى ..

أشعر بهذا .. وأثق به ..

★ ★ ★

الجـزء الثـانى

القلادة التى اختفت

يحكيها لورد (كينزى)

« هناك من دخل غرفتى وهشم التمثال وسرق القلادة الذهبية .. يجب أن أجده على الفور .. إن هذا الأحمق لا يعرف حقيقة ما فعله .. ولا يفهم أى خطر يتهدده ! » .

★ ★ ★

يقول لورد (كينزى) :

بالطبع لست لوردًا .. وبالطبع ليس اسمى (كينزى) .. إن هؤلاء الأمريكان لايعرفون عن الأسر الإنجليزية العريقة سوى النمط المتحذلق الذى يرونه فى السينما والذى أجيد اصطناعه .. فى حين أن أدائى لا يمكن أن يخدع رجلًا إنجليزيًا ..

لكنى مضطر .. مضطر ..

★ ★ ★

فى الفندق الذى أقيم به يوجد بعض الإنجليز لكنى أجدت التظاهر بالتحفظ حتى لا يجلس أحدهم معى ويسألنى أسئلة محرجة ..

يوجد كذلك بعض الشبان المرحين وفتياتهم .. ومجموعة من الانطوائيين ـ على غرارى ـ ممن يسميهم الأمريكان بـ (زهور الحائط) .. ، ثم هناك شاب أمريكى وسيم معه رجل نحيل أصلع يدخن كالشاكمان المكسور ولا يكف عن تأمل الناس ..

هناك أيضًا مديرة الفندق الشمطاء وخادمة حسناء وشاب أكاد أقسم إنه إيرلندى .. أنا لا أخطئ معرفة الايرلنديين أبدًا ..

كل هؤلاء لم يشكوا فى أمرى ..

أوشكوا لكنهم لم يستطيعوا إثبات شكوكهم ..
لا أعتقد أن أحدهم يشكل خطرًا على سرى لكن الحذر واجب ..

★ ★ ★

العام ١٩٦١ .... على ضفاف نهر (أوكيالى) ..
فى (بيرو) بأمريكا الجنوبية تحت الشمس اللاهبة ودرجة الحرارة ٤٢ مئوية فى الظل .. ومجموعة من علماء الآثار يعملون جاهدين على كشف اللثام عن المزيد من أسرار حضارة (الأنكا) ..
هل عرفتم هذا الشاب الأسمر الوسيم الذى يقود الرجال بشخصية كاسحة وذراعين مفتولين وعلى رأسه قبعة من القش ؟..
إنه أنا !.. نعم .. أعرف .. لقد تبدلت كثيرًا .. ولكن صدقونى .. هذا أنا ذا منذ أعوام ستّ لا أكثر ..
أنا عالم الآثار الانجليزى (هنرى بنسون) الذى جاء إلى هذه البقعة مع زميليه (فتزجيرالد) و (إيكن) بحثًا عن أشياءٍ لم يجدها السابقون من حضارة الأنكا ..
كنا قد وجدنا معبدًا قديمًا مدفونًا كانت تمارس فيه طقوس عبادة أحد الآلهة الوثنيين اسمه (شاكال) ..
وبالحفر بدأنا ندرك عدة أشياء ..

أولا : أن هذا الـ (شاكال) كان يحبّ أن يقدموا له قرابين من الجثث المحترقة .. والدليل كل هذا الرماد والعظام المتفحمة المدفونة تحت ما لا بد أنه كان المذبح ..

ثانيًا : أن شعبًا من أقسى وأغلظ الشعوب على وجه الأرض كان يعيش فى هذا الموضع ..

ثالثًا : أن هناك نوعًا عامًا من الذعر بدأ يظهر على وجه عمال الحفر ومن يعاونوننا .. وهى علامة ألفها علماء الآثار جميعًا حين تحرك الحفريات معتقدات بالية فى نفوس العمال ـ الذين يكونون غالبًا من أحفاد أصحاب الأثر ـ لربّما وصلت بهم إلى حدّ التمرد ..

ـ « كفى يا سيّد .. هذا خطر .. (شاكال) .. سحر أسود ! » .

كذا أخبرنى (داماسو) رئيس العمال بانجليزية مهشمة هى للاسبانية أقرب .. لكننى بالطبع اتهمته بالجبن وأمرتهم أن يواصلوا الحفر ..

كان ذلك حين ظهر التمثال ..

هو تمثال قبيح لوجه يرتدى غطاء رأس من الذى يرتديه الهنود هنا .. وله شفتان غليظتان ونظرة غير مريحة على الاطلاق ..

وكان ردّ فعل الرجال سريعًا .. وسمعت الصيحة تتردد مرارًا :

- « (شاكال) !.. (شاكال) ! » .

- « صه يا حمقى ..! » .

وشرعت و (إيكين) نتفحص الرأس بين أناملنا ..

كانت هناك قلادة ذهبية أنيقة تتدلى حول رقبته .. قلادة تحمل وجهًا يماثل وجه التمثال ذاته ..

وكان الرجال هنا قد بدءوا ينأون عنا وقد تعالت صيحاتهم كأنما احتشدوا للثورة ، فأدركنا أن من الحكمة أن ننهى التنقيب لهذا اليوم ..

جمعنا حاجياتنا ووضعنا التمثال فى حقيبة جلدية وشرعنا عائدين إلى المنزل الذى نقيم فيه حين هرع (داماسو) يسير بخطاه المترنحة جوارى - فهو يملك ساقًا أطول من ساق - وأخذ يهتف فى هستيريا :

- « سيد لا !.. سيد لا ! .. (شاكال) خطر .. » .

انحنيت نحوه فى اهتمام .. وسألته :

- «ما سرّ كل هذا الذعر؟.. عرفتكم شجعانًا لا تبالون .. » .

فأخذ يحكى لى لاهثًا كيف أن كهنة (شاكال) كانوا أقوياء يجيدون السحر الأسود .. وأن من يقتحم حرم (شاكال) يحترق حيًا لأن (شاكال) لا يفهم سوى لغة النار .. وهو لا يمزح أبدًا ..

- « حسن .. هل لمست أنت ورجالك هذه البقايا ؟ » .
- « لا سيد .. لا نجرؤ .. » .
- « إذن فهى مشكلتى أنا ورفيقىَ .. ألا ترى ذلك ؟ » .

★ ★ ★

وفى النزل طفقنا نتأمل التمثال والقلادة اللذين وضعناهما على مائدة فوق ورقة صحيفة .. على حين جلس (فيتزجيرالد) يحلق لحيته ..

كان التمثال تحفة فنية - برغم قبحه - ولم يكن أحدنا قادرًا على إبعاد عينيه عنه ..، تناول (ايكين) فرشاة صغيرة وطفق ينظف بقايا الغبار المتراكمة على ثنيات التمثال .. ثم أمسك قطعة قماش وبدأ يفرك القلادة ..

- « ثمة نقوش على ظهرها .. » .

وعلى طريقة علماء الآثار أمسك بقطعة من الصلصال وطبع عليها ثلاث نسخ من ظهر القلادة ثم قطعها بسكينة وناول كلًا منا قطعة عليها انطباع للنقوش ..

تأملت قطعتى فى اهتمام .. ثم غمغمت ..

- « هى لغة .. لكننى لا أفهم منها حرفًا .. » .

ابتسم (فيتزجيرالد) فى فهم وناولنى مرآة الحلاقة التى أمامه :

- « ربّما لأنك تراها مقلوبة .. جرّب المرآة .. » .



كان التمثال تحفة فنية ـــ برغم قبحه ـــ ولم يكن أحدنا قادرا على إبعاد عينيه عنه ..

وضعت المرآة جوار قطعة الصلصال وتأملتها .. ثم هززت رأسى :

- « لا أفهم حرفًا .. » .

تناول (فيتزجيرالد) المرآة ووضعها جوار قطعته وتأملها لحظة ..

ثم ....

كيف لم ألحظ هذا التبدل الذى طرأ على وجهه ؟.. كيف لم أر الوجوم الذى غمر سحنته والاكفهرار الشديد ؟.. كيف لم أفهم معنى تصلبه وصابون الحلاقة يغطى نصف لحيته ؟.. ولا الشعيرات التى انتصبت على ساعديه اللذين استحال جلدهما كجلد الإوزة ؟

كيف لم أستنتج أنه فهم المكتوب ؟

كل ما لاحظته هو أنه هزّ رأسه بمعنى أنه لا يفهم حقًّا .. ثم جلس صامتًا شارد الذهن .. وبحركات آلية واصل حلاقة ذقنه ..

قال (إيكين) وهو يغلف التمثال والقلادة برقائق الألومنيوم :

- « إنها حضارة لا نعلم عنها شيئًا .. ولغة جديدة .. لربّما احتجنا إلى (شامبليون) جديد ليكشف لنا أستارها .. على كل حال نحن واثقون أن هذه النقوش تضمّ كلمة (شاكال) .. ولتكونن هذه نقطة البدء .. » .

ثم تثاءب .. وغمغم وهو يفتح زرّ قميصه :

ـ « أما الآن فقد حان وقت النوم .. » .

★ ★ ★

كانت هذه هى الليلة الأولى فى عهد الرعب ..

كم كانت الساعة وقتئذ ..؟.. لا أذكر ولا أفقه حرفًا مما حدث .. فقط كانت غشاوة النوم واختلاط آخر أحداث الحلم بواقع لحظة الإفاقة .. وحين أدركت من أنا وأين أنا عرفتُ عدة أشياء ..

عرفت أن (إيكين) يوقظنى فى جنون ..

وعرفت أن هناك رائحة احتراق تغمر الجوّ .. وأن الدخان يفعم الحجرة .. وعرفت أن (فيتزجيرالد) ليس موجودًا معنا ..

نهضت كالملسوع إلى حجرته المجاورة لحجرتى ..

ولم أستطع فهم شىء ..

كان الدخان يغمر الهواء .. السعال يمزق صدرى ..

نادينا كالملهوفين على (فيتزجيرالد) لكننا كنا ندرك جيدًا أنه لن يرد علينا .. ياللهول !.. فقط ألسنة من اللهب الأزرق .

وعلى المقعد الخشبى ـ مصدر الدخان ـ كان هناك شىء ما .. شىء لم نتبينه يحترق .. وكان ردّ فعل (إيكين) سريعًا .. بادر بإحضار دلو الماء وسكبه على مصدر الدخان ثم هرع يفتح النوافذ وبعد لحظات أمكننا أن نفهم ما أمامنا ..

لم يكن هناك شيء على المقعد سوى بيجامة (فيتزجيرالد) الخالية من جسده .. وعلى الأرض كان خفاه ..

لا شيء سوى هذا !.. حقًا كانت هناك شمعة لكنها كانت في ركن الحجرة البعيد .. وكان الدخان ينبعث من كل شيء ..

هتف (إيكين) بصوت كالبكاء :

ـ « يا إلهي الرحيم !.. حالة احتراق ذاتي ! » .

نظرت نحوه في ذهول ..

★ ★ ★

الاحتراق الذاتي !..

أعرف هذه القصة جيدًا .. أكثر من مائتي سابقة دوّنها التاريخ لهذه الحالات الغامضة التي يحترق فيها الأناس فجأة دونما سبب ودون أن يقترب منهم مصدر للهب ..

حالات مدوّنة منها راقصة اشتعلت فيها النيران وهي ترقص في (إسكس) فلم يبق منها سوى ثوبها وحذائها .. ومنها رجال أفرطوا في احتساء الكحول .. دائمًا اللهب الأزرق ودائمًا ذهول الواقفين على حين يتبخر الشخص تمامًا تاركًا ثيابه خلفه ..

ودائمًا يصف العلماء حرارة اللهب بأنها تقارب ألفى فهرنهايت أو أكثر .. ولا تفسير لكل هذا فى كل مرة ..

نعم أعرف الاحتراق الذاتى ..

لكن هل هذه إحدى حالاته ؟..

★ ★ ★

ارتجف (إيكين) وهو يتأمل المشهد المروّع :

ـ « (شاكال) ! » .

لماذا تذكر هذا؟.. لماذا ردّد الاسم الذى كنت أخشى أن يتردد ..؟.. لكن كلينا كان يفهم أن هناك علاقة لهذا المشئوم بما يحدث ..

وفى هستيريا شرعنا ننظف المكان آملين أنه ـ بشكل ما ـ سندرك أن كل هذا وهم أو كابوس ..

لكن ماذا يفعل (فيتزجيرالد) خارج بيجامته إذا لم يكن احترق ؟!

إن ما حدث يفوق الوصف وقدرة لسانى على التعبير .. لكنه حدث ..!

★ ★ ★

فى اليوم التالى التزمنا الصمت وجمعنا حاجياتنا لنفرّ من هذا البلد إلى ديارنا وبأقصى سرعة .. لم نكن نريد أسئلة محرجة عما حدث خاصة وأننا لا نملك إجابة .. ثم إن

الحفريات التى قمنا بها لم تكن قانونية تمامًا ، وحتمًا كنا سنقع تحت طائلة العدالة هناك لو أنها عرفت قصة معبد (شاكال) المندثر ..

عدنا إلى (إنجلترا) طاوين اللغز بين أمتعتنا .. ولم يكن هذا هو الشيء الوحيد الذى حملناه معنا .. بل حملنا أيضًا التمثال والقلادة لأننا لم نر فيهما خطرًا ما .. ثم إن التخلى عن هذا الكشف أمر يفوق احتمال أى عالم آثار ..!..

كان (فيتزجيرالد) مغامرًا أسكتلنديًا .. رحمه الله ـ أفاقًا بلا عائلة تبحث عنه ، لهذا لم يطالبنا أحد بتقديم تفسير عن تلاشيه ..

وبعد أسبوع توجهنا إلى قصر اللورد (كينزى) الذى انتحلت اسمه ..

كان اللورد (كينزى) من أسرة بريطانية عريقة يعيش وحده بعد وفاة امرأته ، وإلى حدّ ما يشبه نمط الإنجليزى (المنشى) الذى تقمصته منذ أتيت إلى (بنسلفانيا) ..

هواية هذا الرجل هى جمع الآثار ، وقد أضيف هنا أنه كان يملك خبرة وثقافة عالم آثار من الصفوة .. تكفيه نظرة إلى تمثال كى يقول لك ما إذا كان أصيلًا أم مزيفًا .. وعمره .. وجنسية صانعه .. ومن أين جاء ..

إلى هذا الرجل ذهبنا ولم تكن تلك المرة الأولى فقد بعنا له تحفًا من الفن المصرى والأترورى والفينيقى .. وهو ـ كناقد بارع ـ لا يقبل إلا أجود الجيد .. وداره هى مُتحف تتقطع له أنفاس كل دارسى الحضارات القديمة ..

كانت كلاب (الدوبرمان) تزأر فى الخارج حين اقتادنا اللورد إلى غرفة مكتبه عبر ردهة تعجّ بالأسود الأشورية ذوى رءوس البشر .. وتماثيل (إيزيس) ترضع (حورس) .. و (أغسطس) يرفع يده من تحت عباءته مصدرًا أمرًا ما لقواده ..

وعلى المكتب العتيق وضعنا اللفافة التى حملناها ..

هتف اللورد فى لهفة :

ـ « والآن دعانى أر هذه التحفة .. » .

قلت فى شرود وأنا أفك الأربطة :

ـ « السعر أولًا .. » .

ـ « ليس قبل أن أراها .. لا أذهب للكنيسة قبل أن أرى العروس .. لكن إذا رأيتها وراقت لى .. » .

ـ « هى من أجمل عرائس (بيرو) .. »

وفتحنا اللفافة ليبرز تمثال (شاكال) الدميم والقلادة الذهبية .. لم نكن قد ألقينا نظرة عليهما منذ غادرنا (بيرو) .. ولقد بدا لنا أقبح وأبشع مما رأيناه سابقًا ..

ـ « غريب ..!.. غريب ! » .

أشعل اللورد سيجارًا وقد استبد به الانفعال فلم يعد يعرف كيف يشعله ومضى يردد عبارته المندهشة مرارًا ..

ـ « غريب !.. غريب !.. هذا طراز لم أره من قبل .. حضارة موغلة فى القدم .. ثقافة همجية إذا صحَ هذا التعبير .. » .

ومضغ السيجار فى نهم .. ثم أمسك القلادة وشرع يتأملها .. مغمغمًا :

ـ « وهذه .. إنها .. نعم .. توجد حروف على ظهرها .. ولكن أين منظارى ؟.. آه .. ها هو ذا .. إن هذه الحروف هى .. » .

وتصلّب فى جلسته ..

مرة أخرى لم أعر اهتمامًا للعلامات التى بدت على وجهه .. هذه العلامات تبدو مألوفة لي .. قطرات العرق على جبينه والاكفهرار على ملامحه والتوتر .. دائمًا التوتر ..

قلت فى كياسه :

ـ « لم نفهم طبيعة هذه اللغة .. هل تفهمها أنت ؟ » .

نظر لى بعينين خاويتين .. ثم هزَ رأسه نافيًا .. وفى اقتضاب أغلق اللفافة على ما بها وبلهجة عملية قال :

- « الواقع أيها السيدان أننى لا أعرف الكثير عن هذه الحقبة .. » .

- « إذن تريد هذا التمثال ..؟ » .

- « لا .. فلنقل إننى غير راغب فى تشتيت تركيزى بهذه الفترة .. إننى لا أحتاج إلى هذا الأثر ..! » .

شعرنا بدهشة .. كان هذا آخر ردّ فعل توقعناه .. إن اللورد لم يكن تاجرًا بارعًا ، ولم يكن يجيد إخفاء لهفته حتى لا نغالى فى السعر .. فما إن يرى أثرًا يهمه أمره حتى يبدأ فى الصراخ دون تحفظ ويقدم لنا أى سعر نريد ...، من المستحيل أن هذا التمثال لم يثر اهتمامه ومن المستحيل أنه يتظاهر باللامبالاة ..

- « لكن يا لورد (كينزى) .. لو أردت .. » .

أدار وجهه بعيدًا عنا معلنًا انتهاء المحادثة .. ومضغ سيجاره أكثر :

- « لقد انتهت الصفقة أيها السيدان .. إن بضاعتكما لا تناسبنى .. » .

- « ولكن .. ربّما لو سمعت سعرنا .. » .

- « لا أريد سماعه ! » .

متى دق الجرس ؟ ومتى جاء الخادم ليصحبنا ـ مع تمثالنا ـ إلى الباب الخارجى ؟.. لا أذكر .. كنا مشوشى الفكر .. فى صمت مشينا بين الكلاب السوداء المكشرة عن أنيابها والتى قيدها الخدم بالسلاسل .. لم نصدق ما حدث ..

ما سرّ هذا الفتور ؟.. وما سرّ ضيق صدره ؟..
لماذا تصرف كأنها إهانة منا له ؟

★ ★ ★

على أننا ـ فى اليوم التالى ـ اتفقنا على تسمية هذه الحالة بـ (ذهول شاكال) وكان ذلك بعد ما قرأنا نبأ احتراق اللورد (كينزى) ذاتيًا فى غرفة نومه تاركًا منامته وخفيه سليمين !..

قالت الجريدة إن الخدم فوجئوا بدخان ينبعث من غرفة اللورد فحطموا الباب واستدعوا رجال المطافئ، وكان أن وجدوا المشهد المألوف .. ويقول رجال (سكوتلنديارد) إن الغرفة كانت مغلقة من الداخل بإحكام .. ولم يكن بها مصدر واحد للنار، وأن اللورد تبخَر تمامًا .. وقد صرح المفتش (جيمس ماكفرسون) أنه .... ألخ .. ألخ ..

إذن حدث ثانية !..

مثل ماحدث لـ (فيتزجيرالد) التعس ..

إن العلاقة الآن واضحة تمامًا بين (شاكال) وحوادث الاحتراق الذاتى، ولم يعد ثمة شك ولاحاجة لضحية ثالثة ..

وفى تعاسة همس (إيكين) وهو يتأمل القلادة :

ـ « ولكن .. لماذا لم نحترق نحن ؟ » .

قلت وأنا أحاول عبثًا الإمساك بكأسى دون أن ترتجف يدى :

- « لأننا لم نقرأ المكتوب على القلادة .. » .

- « ماذا تعنى ؟ » .

- « أعنى أن الأمر واضح .. ثمة أشخاص كان بإمكانهم فهم هذه النقوش واستنباط معناها .. وأيًا ما كان معنى ، ما قرءوه فهم قد دفعوا الثمن .. ثمن المعرفة .. إن هذه النقوش تحوى تعويذة ما أو عبارة سحرية أو تهديدًا .. لهذا كان كل من يقرؤه يصاب بذهول .. الذهول الذى يمكن أن نسميه (ذهول شاكال) .. كأنه يعرف قرب نهايته .. » .

- « هل تعنى أن هناك أشخاصًا قادرين دون غيرهم على قراءة معنى العبارة » .

- « بالضبط .. ومعنى قراءتهم للعبارة أنهم مقضى عليهم بالهلاك .. » .

اتسعت عينا (إيكين) فى ذعر وألقى بالقلادة بعيدًا :

- « إذن فمصدر هذه اللعنة يجب أن يُدمّر ! » .

- « وماذا تقترح ؟ » .

- « ربّما حفرة فى الأرض أو صندوقًا فى قاع المحيط أو فوهة بركان .. » .

ـ « ويذهب كل هذا الجهد هباء ؟! » .

ـ « لا يوجد حل آخر للأسف .. لن أحتمل احتراق شخص ثالث وأنت حتمًا توافقنى .. » .

فى توسل نظرت له .. لم أكن أدرك حقًا ما أقوله :

ـ « اسمعنى .. سنحـاول كشط هذه النقـوش أو طمسها .. هذا سيزيل الخطر دون أن يفسد تأثير هذا الأثر وقيمته .. » .

ـ « إذن نحاول ... » .

ساعات كئيبة قضيناها نحاول إزالة النقوش بمبرد صغير دون جدوى .. إن هذا ليس ذهبًا !.. مستحيل أن يكون ذهبًا !.. إنه سبيكة لم أر أصلب ولا أقسى منها .. وهى تأبى أن تتزحزح ملليمترًا واحدًا .. إذن لا أمل للخلاص من هذه النقوش سوى بتدمير القلادة ذاتها .. لكن أية خسارة ..!

★ ★ ★

فى منتصف الليل نزلنا إلى حديقة دارى ودفنا القلادة المشئومة تحت أمتار من التراب .. وعدنا للدار كى نغفو ..

إلا أننا لم نكن قد تعلمنا أولى قواعد الدرس ..

لا يمكن الخلاص من (شاكال) أبدًا !..

وحين صحونا من النوم وجدنا الحديقة وقد قلبت رأسًا على عقب ، وكانت القلادة ملقاة على سطح الأرض .. وكان ما أوحى به الموقف هو أن الكلاب قد حفرت الأرض فى أثناء الليل لتخرج القلادة !

قمنا بتخبئتها فى خزانة حديدية محكمة ..

وكان الدرس الثانى الذى تعلمناه هو أن نصوص الخزائن بارعون بدرجة لا تُصدّق !..

ففى الصباح الباكر وجدنا الخزانة مفتوحة والقلادة ملقاة على الأرض فى حين كانت هناك أنبوبة من غاز (الاسيتلين) استخدمت فى إذابة القفل فى أثناء الليل ..

تسألنى لماذا لم يأخذ اللص القلادة ؟.. لأنه احترق طبعًا !.. لقد وجدنا بقايا رماد المسكين وثيابه الفارغة جوار القلادة .. لقد دخل مقتحمًا النافذة وعالج قفل الخزانة فلم يجد إلا القلادة بها .. وكانت نظرة واحدة كافية كى يفهم النقوش !!..

هلك البائس ولم يكن يستحق هذا العقاب ..

إن أقسى القوانين - من عهد (حمورابى) - تسجن السارق لكنها لم تحرقه قط ..!..

وهكذا دارينا الرماد .. ولم تكن لدينا الشجاعة الكافية لوضع القلادة فى خزينة أحد البنوك لأن البنوك تُسرق أحيانًا ..، وبدأنا فى خطة محكمة لإلقاء القلادة فى قاع النهر بعد ربطها حول حجر كبير ..



وحين صحوت من النوم وجدت الحديقة وقد قلبت رأساً على عقب ،

وكانت القلادة ملقاة على سطح الأرض ..

لكننا ـ فى كل مرة ـ كنا نجد القلادة تنتظرنا على البرّ عند عودتنا !

أكاد أجزم أن نظرة التمثال ساخرة هناك حيث يرتمى على الأرض بانتظارنا كأنما يصارحنا ألا جدوى من المحاولة..

حتى مصهر الحديد والصلب جربناه .. لكن القلادة كانت تظهر فجأة عند أقدامنا معلنة ألا جدوى ..

أنت لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا ..

كانت حالة (إيكين) النفسية تقلقنى فى تلك الآونة .. فهو لا ينام أبدًا ونظراته زائغة حائرة زجاجية .. وشروده لا ينتهى .. ازداد عصبية ولم يعد يستجيب لعالمى ..

عندئذ عرفت المصير الأسود الذى ينتظره ..

وقال الأطباء النفسيون إن (إيكين) شخصية غير مستقرة من النوع الانطوائى .. وأنه قد بدأ يتسرب إلى عالم آخر اسمه (الشيزوفرنيا) وبعبارة أقل رقيًا : بدأ يجنّ ..

قالوا ـ كذلك ـ إن سبب تحول شخصية غير مستقرة إلى شخصية مجنونة هو ضغط عصبى مبالغ فيه ..

ضغط عصبى مبالغ فيه ؟..

من ذا الذى لا يعانيه ؟..

إن الأخ (شاكال) قد لوث عالمنا إلى الأبد كنفاية ذرية ألقيت في نهر .. ولم يعد الخلاص منه ممكنًا .. هب أنك تخلصت من القلادة بمعجزة فكيف تتخلص من الرعب والذكريات الأليمة ؟..

كيف تتخلص من الشعور بأنك مُراقَب وأن حياتك لن تعود أبدًا كما كانت ؟.. وكيف تمضى فى المدينة ترمق آلاف الأبرياء عالمًا أنك تهدد حياتهم جميعًا ؟.. أو على الأقل تهدد من يملكون القدرة على قراءة العبارات المكتوبة ..

الخلاصة هنا أن (إيكين) قد دخل المصحة العقلية عله بين أسوارها يثوب لرشده ..

لقد استراح (إيكين) الخائر تاركًا إياى وحدى ..

★ ★ ★

إزداد الطين بلّة حين تلقيت زيارة من مفتشين من (سكوتلنديارد) .. زيارة بريئة فى الواقع لكننى أدركت أنهما يريدان معرفة علاقتى باللورد المحترق (كينزى) .. فنحن آخر من زاره فى تلك الليلة .. ونحن عالما آثار .. وهو يشترى الآثار المهربة كما لا يمكن أن يغيب عنهما ..

إذن .. مفتاح اللغز عندنا ..

وحيث إن (إيكين) جُنّ فلم يبق سواى كى يتحمل لعبة الأعصاب المريعة التى يجيد رجال التحرى لعبها ..

وهكذا ....

وجدت نفسى مضطرًا إلى الهرب .. بعيدًا .. بعيدًا ..

وأنتم تعرفون باقى القصة ..

لم أجرؤ على ترك القلادة والتمثال لأنى لن أجازف باحتمال أن يراهما آخر .. أضف لذلك أننى واثق بأنهما سيعودان لى ..

أنت لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا ..

★ ★ ★

حدث اليوم ما كنت أخشاه ..

هنـــاك من عبث بحجرتـــى وسرق القـــلادة وهشّم التمثال !..

كنت فى قاعة الطعام أتناول إفطارى .. ثم صعدت للغرفة فوجدت آثار العبث والغرفة مقلوبة رأسًا على عقب .. من فعلها ؟..

فى البدء فكرت فى خادمة الغرف، ثم استبعدت هذه الفكرة على الفور .. فهى تملك مفتاح الغرفة ولاتحتاج إلى كل هذا العنف فى الاقتحام، دعك من أننى لو كنت مكانها لجعلت الأمر لا يثير الشك لأنها تعلم أنها المتهمة الأولى فى أى تحقيق قادم ..

إذن هو شخص آخر .. ولكن من ؟..

طبيعى أننى لن أحدث شوشرة لأننى لا أتحمل أسئلة رجال الشرطة لى ، وتساؤلهم البرىء عن مغزى إقامتى هنا تحت اسم (لورد كينزى) على حين يحمل جواز سفرى اسم (هنرى بنسون) ..

لا .. لن أحدث صخبًا وسأجرى أبحاثى الخاصة ..

إن هذه القلادة المشئومة ستعود لى حتمًا ولكن بعد أن يحترق اثنان أو ثلاثة من نزلاء الفندق ، ولولا ذلك لشعرت بامتنان عظيم للصَ النبيل الذى خلصنى منها ..

لكنك لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا ..

وفى المساء كنت متجهًا لحجرتى حين وجدت الأمريكى والرجل الأصلع النحيل واقفين أمام بابها يتأملانه فى اهتمام .. فأجفلت .. أتراهما السارقان ؟..

فما أن رأيانى حتى اعتدلا فى شىء من الحرج .. وقال الأصلع فى ارتباك وقد وجد من واجبه أن يفسر ما هنالك :

ـ « معذرة سيِدى !.. إذن هذه حجرتك ؟.. كنت أتناقش وصديقى حول مغزى هذه العلامات فى قفل الباب » .

هززت رأسى فى فتور .. وغمغمت :

ـ « محاولة اقتحام .. إن هذه الأشياء تحدث كثيرًا .. » .

ـ « وفشلتْ طبعًا .. » .

ـ « بل نجحتْ ..! لكن شيئًا لم يُسرق من الغرفة على الأقل .. » .

تبادل هو والأمريكى نظرة لم أفهم معناها .. ثم إنه قال فى لهجة انتصار :

- « هذا هو ما كنا نتناقش حوله من ثوان .. إن هذه الآثار لاتوحى بعملية اقتحام بل توحى بأن هناك من يتظاهر بذلك ! » .

كلام غريب !.. ماذا يعنى هذان المعتوهان ؟.. أردف الأصلع وهو يشعل سيجارة كعادته الأبدية :

- « هذه الخدوش ليست فعالة ومن المستحيل أن تلعب دورًا فى فتح القفل .. » .

- « لا أفهم .. » .

- « أعنى أن من وضعها قد وضعها ليوحى بأنه لا يملك مفتاحًا .. فى حين أنه - ما دمت تؤكد أنه اقتحم الغرفة - كان يملك مفتاحها بالتأكيد .. » .

ازددت حيرة .. لكننى بدأت أفهم ما يرمى إليه :

- « وهذا يعنى .. » .

- « يعنى أن هناك من فتح الغرفة بسلاسة ثم أنه وضع هذه العلامات بعدها ليوجه إصبع الاتهام نحو من لا يملكون المفتاح ! » .

سألته وقد أثار ما قال اهتمامى :

- « ولكن من أنت يا سيِّدى ؟.. ولماذا اجتذب نظرك قفل بابى بالذات ؟ » .

قال وهو يرفع منظاره على قصبة أنفه :

ـ « أنا د . (رفعت إسماعيل) . مصرى الجنسية .. وهذا هو (هنرى شيلدون) خبير كمبيوتر .. أمريكى ..، أما سبب توقفى أمام بابك فهو ضعف بصرى الذى جعلنى أخلط ما بين رقم (٢٩) ورقم (٢٨) بالأرقام العربية(★) .. إن (الاستجماتزم) يجعلنى أكمل دائرة التسعة بصريًا لتصير ثمانية .. وأظن أنها غرفتى أنا .. » .

وفى شىء من الخجل، غمغم :

ـ « إننى دسست مفتاحى فى قفل بابك عشر مرات منذ جئت للفندق ! » .

كنت أنا شارد الذهن أفكر فى مغزى ما قال .. إن هذا منطقى ومتماسك إلى أقصى حد .. ها هى ذى خادمة الغرف تمر أمامنا بقامتها الرشيقة الفارعة .. من يملك المفتاح سواها ؟.. إنها مرتبكة تحاول ألا تلتقى عينانا فهل هذا اعتراف منها بالأمر ؟. لن أستطيع إثبات جرمها أبدًا، لكنى أستطيع أن أحذّرها وستفهم هى ما تريد فهمه ..

ربّما كان هذا الـ (رفعت) واهمًا .. لكن الحقيقة التى لا يمكن دحضها هى أن القلادة اختفت .. وأن السارق لا يعرف ما ينتظره ..

إنك لا تستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا ..

(★) الأرقام العربية هى الأرقام التى يستخدمها الغربيون الآن على غرار 29 ، 28 أما ما نستعمله نحن فى العربية فهو أرقام هندية ٢٩ ، ٢٨

★ ★ ★

الجـزء الثـالث

أمسية مـا

تحكيها مس (جونز)

« إن الحر يتزايد فى الغرفة .. لو أنصفت القول لقلت إننى أحترق ! » .

قالت مس (جونز) :
رقيقة هى هذه الفتاة وأعتقد أننى أميل لها بشدة ..
هى كذلك تميل لى بنفس القدر ..، ومنذ جاءت فندقى أدركت كم هى جميلة .. وفقيرة .. وطموح ..!..
كان فى أعماقها شيطان ملول متقلب يبحث دومًا عن الأرقى والأفضل .. وكنت أعرف أن نزلاءنا ـ أولاد الشياطين ـ يحدثونها ليلًا ونهارًا عن جمالها وعن الأشياء الرائعة التى تستحقها لو أنها فقط تنازلت قليلًا ..
ليلًا ونهارًا تسمع هذا الكلام الفارغ وتبدّل مفاهيمها بالتدريج .. لهذا أدركت أننى يجب ألا أتركها ..، إن تربيتى الدينية الصارمة علمتنى أن البشر جميعًا خراف ضالة يجب أن نرعاها ..
وكان الساقى الإيرلندى الوسيم (باتريك أوكونور) يلاحقها باستمرار .. عيناه تعبَان من ينبوع وجهها الشيق ، ولا يضحك سوى حين يراها .. وكنت أرتاح لهذا الفتى الدمث الخجول .. وأجد فيه رجلًا نبيلًا بمعنى الكلمة ، وكأننى أخطب لابنتى اخترت لها هذا الشاب ..
لكن (باتريك) كان يمثل لها الحياة الأبدية فى هذا العالم الذى تمقته .. عالم بلا أحلام ولا طموحات .. إنه سيقدم لها الإخلاص بينما هى بحاجة للفراء .. سيهديها الأحلام بينما

هى ترغب فى سيارة فاخرة .. سيعطيها الحنان وهى لاتريد سوى فيللا أنيقة ..

كان طبيعيًا أن تمقته .. ولا ألومها على هذا ..

★ ★ ★

فى تلك الآونة كان فندقنا يعجّ بهؤلاء الزبائن الذين اعتدنا وجودهم والذين يشكلون شرائح معينة .. فمنهم العجائز الانجليز المتحفظون الذين يقطرون أدبًا وتهذيبًا .. والشباب المتهتك المتظرف .. وزهور الحائط .. ورجل أمريكى مصرى أصلع يدخّن كالقمامة المحترقة .. وهذان بالذات لا يمكن تصنيفهما تحت أية قائمة ..

وكنت أنا كعادتى - منذ شهور - أفتح عينى من النوم ثم أمدّ يدى إلى المقبضين النحاسيين عند رأس السرير فأديرهما لأرى ما يختفى تحتهما .. فالشىء الذى لا تعرفه (جين) هو أننى معتادة رؤية ما تخبئه داخل هذين المقبضين حاسبة - الحمقاء - أننى لا أعرف ..!

ومن هذا المخبأ المشترك عرفت كل شىء عن مدخراتها .. وعن حبيبها القديم (جيمى) .. وعن هواياتها .. كل شىء ..

على أن ما ضايقنى كثيرًا هو أنها تخدعنى ..

هى لم تسرق شيئًا .. ولم تفتش حاجياتى .. لكن هناك خديعة ما فى كل هذا .. أن تخفى أسرارك فى غرفة شخص آخر لهو عمل غير أخلاقى بكل المقاييس .

★ ★ ★

جاء المساء ودخلت غرفة النوم ..

وكعادتى مددت يدى وأخرجت الكتاب المقدس ، ثم فككت خصلات شعرى الأشيب وبدأت أقرأ ..

لا أدرى السبب الذى جعلنى أمدّ يدى للمقبضين باحثة عن أسرار جديدة .

ما دامت الفتاة ارتضت خداعى فليس خطأ منى أن أطالع ما تخفيه فى حجرتى ، هذا هو أبسط حقوقى ..

وهنا وجدت القلادة ..

قلادة من الذهب عليها نحت لوجه إفريقى مُفزع ..

ماذا جلب هذه القلادة لها ؟.. هل سرقتها ؟.. مستحيل .. إن كل حجرات الفندق ملأى بما يمكن سرقته وهى تدخلها جميعًا فهى ليست سارقة أبدًا .. إذن فهذه القلادة هدية .. هدية ممن ؟.. ولأى غرض ؟..

إن ثعابين القلق تنهش قلبى ..

أتمنى - ولا تندهشوا - أن تكون القلادة مسروقة .. لا أريد للفتاة أن تتحول أو تكون تحولت إلى أبشع مهنة فى التاريخ .. إنها ابنتى وأنا أعرف كيف أحميها من نفسها وألتهم فؤاد من يؤذى شعرة - مجرد شعرة - من رأسها ..

وهنا شعرت بها تقترب من باب الحجرة ..



وهنا وجدت القلادة .. قلادة من الذهب عليها نحت لوجه إفريقى مفزع ..

أخفيت القلادة تحت الوسادة وشرعت أتظاهر بقراءة الكتاب المقدس .. كانت تحمل لى عشائى وزجاجة الدواء ..

حاولت أن أجعلها تفصح عن شي أى شيء .. لمحت لها بما يساورنى من مخاوف .. وحاولت أن أقنعها بأن تقبل (باتريك) عريسًا لكنها ـ كعادتها ـ تنمّرت وأبت أن تصغى لكلمة واحدة ..

ثم إنها استأذنت فى الانصراف فأذنت لها ..

وبأصابع مرتجفة أخرجت لفافة تبغ من تحت الحشية وأشعلتها ..

جلست وحدى فى الظلام ـ الذى اعتدته ـ أقلب القلادة بين أناملى، ثم إننى نهضت فأحكمت إغلاق الباب .. وعدت للفراش ..

غريب أمر هذه القلادة .. كأنها تعويذة أو حجاب قديم ..

وعلى ظهرها وجدت نقوشا عجيبة فتناولت منظارى وشرعت أتأملها .. عجيب هذا ..!.. هذه ليست حروف لغة أعرفها لكنى برغم ذلك أفهمها .. ثمة كيان ما يخاطبنى من عهد سحيق .. يشدّنى إليه .. يحرك عظامى ويجذب أعصابى .. العرق يتكاثر على جبينى وجلد ذراعى يستحيل إلى جلد إوزة ..

« أنتِ قربان (شاكال) الجديد .. لأنه من النار تأتى النار .. وإلى الدخان يصير الدخان .. وفى الرماد يفنى الرماد .. تعالى إلىّ ملبية ندائى يا دم دمائى ويا ابنة أبنائى .. » .

كنت أنتفض .. شىء ما يجذبنى معه إلى حفـــرة بلا قرار .. بلا قرار .. وحين انتبهت لنفسى كانت ساعة كاملة قد مضت .. هو ذا (شاكال) حاملًا مشعله السرمدى يقف بانتظارى على باب الجحيم ..

غريب كل هذا ..!

يا دم دمائى وابنة أبنائى ..

فى الرماد يفنى الرماد ..

الحر يتزايد فى الحجرة ..

نزعت الكنزة التى أرتديها فوق ثياب النوم ..

لكن حرارة جسدى تزداد .. تزداد ..

أنت قربان (شاكال) الجديد ..

الحرارة تزداد .. تزداد ..

لو صحّ القول لقلت إننى أحترق ..

لكن هذا مستحيل .. لا يوجد شىء كهذا ..

الحرارة تزداد .. تزداد ..

و ......

★ ★ ★

الجـزء الرابـع
أسطورة (شاكال)
يحكيها د . (رفعت إسماعيل)

« هذه الحروف كُتبت بلغة لا أعرفها .. ولكـن .. صبرًا !.. إننى أفهمها ..!.. أقسم على ذلك ! » .

★ ★ ★

مرة جديدة أعود ـ أنا د . (رفعت إسماعيل) ـ لسرد الأحداث .. حكيت لكم الظروف التى جاءت بى إلى الفندق ، وعرفتم شيئًا عن ظروف إجازتى ..

بدأ دورى فى هذه القصة فى اللحظة التى صعدت فيها لغرفتى مع (هارى) وهى كما تعرفون الغرفة رقم ٢٨ ..، وكان الاستجماتزم الذى بليت به فى نظرى يجعلنى عاجزًا تمامًا عن رؤية الجزء المقطوع ما بين خطين على امتداد واحد بل أكمله فى شبكيتى على الرغم منى ، وهكذا تتحول (9) إلى (8) دون سابق إنذار ..

وكنت فى كل ليلة أدس مفتاحى فى كالون باب الغرفة رقم ٢٩ ، ثم أفطن بعد محاولة عقيمة إلى خطئى .. إلا أننى فى تلك الأمسية لاحظت تلك الخدوش فى قفل الباب ودارت مناقشة بينى وبين (هارى) حكاها لكم اللورد (كينزى) فلا داعى لأن أثير مللكم بإعادتها مرة أخرى ..

وكما فهمتم تركزت شكوك اللورد (كينزى) فى خادمة الغرف الحسناء وهو شك له ما يبرره فى الواقع ونحن معه ..

وكنت أتبادل الحديث مع اللورد (كينزى) حين خطر لى خاطر غريب .. تعلمون أن لى خبرة لا بأس بها بأساتذة الجامعة الانجليز المتحذلقين و (أشمّ) لهجتهم الأكسفوردية دون عناء ..

هذا الرجل ليس لوردًا بل هو يقلد أساليبهم بأسلوب فجّ يوشك أن يكون هزليًا .. لكن من أنا حتى أفتى فى هذه الأمور ؟.. إذا كان الانجليز أنفسهم لم يلاحظوا ذلك فمن الغرور أن أزعم أننى عبقرى !..

وهنا سمعنا الصرخة الرهيبة المألوفة :

ـ « نار !.. نار ..! » .

مع (هارى) أركض إلى مصدر الصوت ..

ـ « نار !.. نار ! » .

ونزيلة إنجليزية شمطاء تقف بقميص النوم فى الردهة تردّد فى هلع ذات العبارة .. سألها (هارى) فى نفاد صبر :

ـ « أين ؟ » .

ـ « نار !! » .

ـ « قلت أين ؟ » .

أشارت فى هستيريا إلى الجزء السفلى من أحد الأبواب الموصدة .. إلى الدخان المتسرب كأنه حشد من الثعابين الرمادية يفرّ من الغرفة .. نعم .. رائحة الحريق تتزايد .. فكيف لم نشمها من قبل ؟!..

ـ « غرفة من هذه ؟ » .

ـ « غرفة مس (جونس) مديرة الفندق .. » .

يا للمصيبة !.. لابد أن العجوز تدخن سرًّا أو ـ كما يحدث دائمًا مع العجائز ـ نزلت بشمعة تحت الفراش لترى ما إذا كان هناك لص يتلصص عليها !.. يجب عمل شيء ..

ـ « (رفعت) !.. تعال نهشم الباب .. » .

قالها (هارى) وقد توتّرت عضلاته وتناثرت خصلات شعره الأشقر على جبينه .. وفى عنف بدأنا نهشم كتفينا .. معذرة !.. أعنى نهشم الباب غير ناسين من حين لآخر أن ننادى فى هستيريا :

ـ « مس (جونز) ! » .

بلا جدوى طبعًا .. فالمرأة ـ حتمًا ـ قد ماتت أو كادت .. وفجأة انفتح الباب وقد سئم المقاومة .. كان الدخان يملأ الجو وبصعوبة استطعنا أن نتبين الجسد الجالس على الفراش .. كلّا .. أعنى الجسد الذى كان جالسًا على الفراش ..

لم يعد هناك شيء سوى ألسنة من اللهب الأزرق تتصاعد منها سحابة كثيفة من الدخان .. والغريب أن الأغطية لم تمسّ بسوء .. لم يحترق شيء من الفراش ، بل إن قميص نوم العجوز لم يحترق حيث ارتمى على حافة الفراش خاويًا من الجسد الذى كان به ..

تبادلت أنا و (هارى) نظرة حيرى ..

لقد فهمنا ما حدث .. لكننا بعد لم نفهم كيف حدث ..!..

سأحاول هنا أن أكون مختصرًا وأريحك من كل ما قيل ومن ذهول الواقفين .. والصراخ الهستيرى لخادمة الغرف (جين) .. و النظرات الخرساء للورد (كينزى) الذى ساقته قدماه إلى الحجرة .. هل كانت فى تلك النظرات لمسة من الذعر ؟.. لمسة من ذعر الأرنب الذى أيقن أن الثعلب لم يفقد أثره برغم كل المناورات التى قام بها ؟.. لا أعتقد أننى دقيق الملاحظة إلى هذا الحدّ .. لابد أننى - بعد ما فهمت القصة - أقنعت نفسى بأننى رأيت هذا التعبير على وجهه ..

شىء أخير أحب أن أضيفه ..

فهناك على الفراش عند قدمى المرأة - أعنى حيث كانت قدماها - كانت هناك قلادة غريبة الشكل تمثل وجهًا غليظ الشفتين لا يوحى بالاطمئنان أبدًا ..

كان الزحام شديدًا فى الحجرة لذا آثرت أن أضع هذه القلادة الذهبية فى جيبى حتى أسلمها للشرطة فيما بعد .. إنها ثمينة .. هذا مؤكد .. ولن يعدم المرء واحدًا يدسها فى جيبه ليس لتسليمها للشرطة طبعًا ..

فى الوقت المناسب دسست القلادة حين التقت عيناى بالعينين المرعوبتين لهذا اللورد (كينزى) .. كان يبحث عن شىء ما بلهفة لا أدرى سببها ..

هذا الرجل يخفى جنونًا خطرًا .. كذا قلت لنفسى وعزمت على أن أكون على حذر منه ..

ولكن ما هى هذه القلادة ؟.. من الواضح تمامًا أنها تعويذة أو شىء من هذا القبيل .. لا أعتقد أن صائغًا معاصرًا ـ مهما بلغ من خبال ـ يمكن أن يصمم شيئًا بهذه البشاعة .. إنها القبح المجسم دون مبالغة ..

على كل حال لا مانع من إلقاء نظرة عليها على انفراد فى حجرتى قبل أن أسلمها للشرطة ..

شققت طريقى بين الأجساد وسحب الدخان المنقشع .. وفتحت باب حجرتى وأغلقته ورائى .. وأشعلت لفافة تبغ ..

خلعت منظارى لأتمكن من رؤية أوضح ..

ومن جيبى أخرجت القلادة وضيقت عينى لأتأملها ..

هذه النقوش .. إنها مكتوبة بلغة مجهولة لى .. ولكن ..

إننى أفهمها !.. أقسم على ذلك ..

هذه الكتابة لها صوت !.. صوت يدوى فى أذنى من الماضى الغابر وهأنذا أسمعه يجلجل :

ـ « أنت قربان (شاكال) الجديد .. لأنه من النار تأتى النار ..

وإلى الدخان يصير الدخان .. وفى الرماد يفنى الرماد .. » .

ما هذا الكلام الفارغ ؟!.. كأنه سجع الكهان ..

ـ « تعال إلى ملبيًا ندائى يا دم دمائى وابن أبنائى .. » .

هو ذا (شاكال) يقف على باب الجحيم بانتظارى حاملًا مشعل الأبدية .. إنه يريدنى .. جاء من أجلى أنا ...

غريب هذا ..!.. إننى مفتون تمامًا ..

العرق يغمر جبينى وجلد ذراعى ينتصب كالأوزة ..

إننى .. لا .. أملك .. حراكًا ..

إننى .. مسحور .. إننى .. (تحت تعويذته) كما يقول الانجليزى ..

الحرّ يشتدّ ..

لاأدرى .. السبب .. لكن (شاكال) .. ينتظرنى .. وليس .. من الحكمة .. أن أبقيه .. أكثر .. من ....

ـ (رفعت) !.. أنت هنا ؟..

هذا صوت (هارى) .. أخرجنى من دوامة (الأيوفوريا) التى بدأت أذوب فيها حتى القاع .. إنه يقرع الباب مناديًا ..

استدرت وفتحت الباب متنهدًا الصعداء ..

ـ « ماذا بك ؟.. تبدو كأنك كنت فى حمام بخار ! » .



الحر يشتدّ .. لا أدرى .. السبب .. لكن (شاكال) .. ينتظرنى ..
وليس من الحكمة .. أن أبقيه ..

هتف (هارى) فى دهشة .. وخلف كتفه رأيت ذلك اللورد الانجليزى المزعوم يرمقنى فى نظرة غير معهودة منه .. نظرة فهم .. نظرة من يقول :

إذن فالأمر كذلك !..

ورأيت عينيه تتصلبان على القلادة التى كانت فى يدى ..

دخل الرجلان الغرفة .. وتلفت (هارى) حول كتفيه ، ثم هتف فى غباء مستفز :

- « لكن حرارة الحجرة عادية .. فمن أين جئت بكل هذا العرق ؟! » .

- « هو عرق الخجل ! » .

لم أكن أنا قائل هذه العبارة بل هو لورد (كينزى) .. الطريف أنه قالها وهو يرفع شيئًا ما ويصوبه نحونا .. الأطرف هو أن هذا الشىء هو مسدس صغير جميل المنظر ..

صاح (هارى) فى هستيريا وهو يبتعد عن مرمى المسدس :

- « لورد (كينزى) !.. ما معنى هذا ؟ » .

بلهجة رصينة غمغم اللورد وهو يتخذ لنفسه موضعًا أكثر استراتيجية :

ـ « معناه أن هذه القلادة تخصنى أيها السيدان وأننى مستعد لعمل أكثر الأفعال جنونًا كى أستردّها ! » .

ثم ابتلع ريقه وهتف فى مرارة :

ـ « إذن أنتمـــا من سرق حجرتـــى وتظاهرتمـــا بمساعدتى .. » .

ـ « ولكن ما الذى ...؟ »

ـ « هذه القلادة فى كف زميلك المصرى .. إنها دليل كاف .. وعلى كل حال أنا لا أريد استرداد القلادة لأنها ثمينة أو أثيرة إلى نفسى . بل لأنها .... فلنقل إننى أنقذكما بهذا العمل .. »

ومدّ يده نحوى كمن ينتظر شيئًا :

ـ « والآن .. هيًّا ! »

لم اكن أنا قد تفوهت ببنت شفة منذ دخلا غرفتى .. الا أن نظرة الرعب فى عينى كانت واضحة وقد لمحتها عينا اللورد على الفور .. ولمحت نظرة اهتمام تتبدى فى عينيه المتهمتين .. ثم تحول الاهتمام إلى فهم .. وتحول الفهم إلى ذعر .. ثم تحول الذعر إلى شفقة ..

وسمعته يهمس من بين أسنانه :

ـ « أنت قرأت النقوش ! »

ـ « أ .. أنا .... »

ـ يا لك من تعس !.. لقد أصابك ذهول (شاكال) .. أنت لاتستطيع الخلاص من (شاكال) أبدًا ..! » .

(شاكال) !.. هذا هو الاسم الذى قرأته على القلادة منذ ثوان .. إن هذا الرجل يعرفه .. إذن فالقلادة قلادته .. ولكن من هو (شاكال) ؟

وما سرّ هذه الهلوسة التى أصابتنى ؟!..

كان اللورد قد أعاد المسدس إلى جيبه ومعه القلادة .. ثم تناول ذراعى مقتادًا إياى إلى داخل الحجرة ..

ـ « أعتقد أن هناك نقاطًا عدة يجب أن أوضحها لكما .. كما أنكما لا تبدوان لى سارقين .. ثمة سوء تفاهم على طول الخط أو هذا ما أرجوه .. ، دعونى أشرح لكما قصتى .. » .

★ ★ ★

وفى الساعة التالية حكى لنا اللورد (كينزى) ـ أو د . (هنرى بنسون) قصته التى سمعتموها فى الجزء الثانى على لسانه .. لن أعيدها عليكم لكن اسمحوا لىَ أن أترككم قليلًا حتى أسمعها منه .. ما دمتم جميعًا قد عرفتموها قبلى ..!

★ ★ ★

إذن فأنا القادم ..!

أنا القادم ..!

لقد صدر حكم الإعدام حرفًا علىّ ولا أمل فى استئناف ولا معارضة ولا هرب .. فقط علىّ أن أنتظر حتى يقرر هذا الأخ (شاكال) ميعاد التنفيذ ..

أشعلت سيجارة بيد مرتجفة .. لماذا أنا بالذات تمكنت من قراءة هذه الحروف اللعينة ؟.. متى قال (هارى) إننى نحس حقيقى ؟.. ولماذا وأى شيطان دفعنى لأن آخذ هذه القلادة ؟.

كنا جالسين على (الأنتريه) الأنيق الصغير فى حجرتى غارقين فى خواطرنا السوداء وقد أدرك كل منا حقيقة موقفه ..

قال د . (هنرى) وهو يتحاشى النظر لى :

ـ « كذا ترى .. لابد أن العجوز هى سارقة القلادة .. » .

ـ « هذا هو الاحتمال الأقرب للصواب خاصة وأنها تملك فرصة الحصول على المفاتيح .. وعلى كل حال لقد دفعت ثمن جريمتها غاليًا .. أفظع ثمن لجريمة سرقة فى التاريخ .. » .

حكّ د . (هنرى) رأسه مفكرًا .. ثم وضع يده على ركبتى وتساءل :

ـ « د . (رفعت) .. لا تقنط ..!.. لاحظ أن لديك مزية لم يحظ بها واحد من ضحايا (شاكال) السابقين .. هى أنك تعرف ـ بالتفصيل الممل ـ ما ينتظرك ..! » .

مضغطت السيجارة فى تعاسة .. غمغمت :

ـ حقًا ؟.. يالى من محظوظ ! » .
ـ ثم إننا لن نتركك أبدًا وحتى تحترق .. » .
ـ « يا له من خبر مبهج ..! » .
ـ « والآن .. هلا فسرت لنا معنى هذه النقوش ؟ » .
في شرود تأملت أظفارى ودفنت عقب السيجارة فى المطفأة :
ـ « الواقع أننى لا أدرى كيف أصف ذلك .. إن الأمر ليس قراءة النقوش قدر ما هو إحساس عام بمعناها ..أنت تفهمنى أليس كذلك ؟ » .
ـ « نعم ! لم أفهم .. » .
ـ إنه نداء عام .. نداء فى أعصابك وعقلك وخلاياك .. نداء لأن تكون قربان (شاكال) .. » .
هتف (هارى) فى توتر وقد استعاد عصبيته القديمة وانفلات أعصابه بسرعة مذهلة فى الواقع :
ـ « دعونا من هذا الهراء ولنبدأ فى التفكير .. ما هى الطريقة المثلى ـ إن وجدت ـ لإنقاذ (رفعت) من الاحتراق الذاتى ؟ » .
قلت وأنا أحاول التظاهر بالثبات :
ـ « ثمة نقطة تحتاج للتوقف عندها .. لماذا لم أحترق بعد ؟ » .
قال د . (هنرى) فى ثقة :

ـ « لأنك مع آخرين .. كل حوادث الاحتراق الذاتى حدثت لأشخاص وحيدين .. ولولا دخولنا الغرفة فى لحظة الذروة لكنت قد .. » .

فى حماسة صاح (هارى) :

ـ « هذا هو الحلّ ..!.. إننــا لن نتــركك لحظــة يا (رفعت) .. سنقوم بتبديل ورديات لمرافقتك .. وهكذا لن يجد (شاكال) الفرصة أبدًا كى يدعوك إليه .. » .

قلت فى ملل وأنا أدفن سيجارتى :

ـ « ليس هذا حلًا .. هناك دائمًا لحظة ما أدخل فيها دورة المياه أو الحمام (لاتزعم أنك متحمس إلى حدّ مرافقتى هناك) وهذه اللحظة ستكون كافية .. ثم إننى لن أجد الرفقة البشرية طيلة حياتى .. مستحيل هذا .. دعك من أن الحياة التى لا يسمح لك فيها بأن تكون وحيدًا هى ليست حياة .. بل هى لا داعى لها أصلًا ..! » .

قال د . (هنرى) :

ـ « على كل حال هو حلّ مؤقت .. وحتى نجد حلًا أكثر جذرية .. » .

ـ « أكثر جذرية ؟ » .

همست فى مرارة ساخرة :

ـ « كالموت ؟! » .

* * *

إنه الفجر ..

فى الخارج تتبادل العصافير عبارات السباب المختلفة .. وأشعر بالهواء البارد البكريتسرب من النافذة فلا تتحمله شعيباتى التى اعتادت التلوث .. فأسعل ..

ينهض (هارى) من جوارى بالفراش مجفلًا ثم يعاود النوم..

أعرف كل هذا وأفهمه ..

لأننى ـ ببساطة ـ لم أنم بعد ..

رفعت عينى من تحت الغطاء بحذر فوجدت (هنرى) جالسًا على أحد مقاعد الأنتريه وقد أضاء أباجورة خافتة يطالع على ضوئها كتابًا صغيرًا له غلاف سميك .. وأمامه القلادة اللعينة ..

ـ « د . (هنرى) .. » .

همست فى كياسة محاذرًا أن أوقظ (هارى) :

ـ « هل أنت لم تنم بعد ..؟ » .

ـ « وكيف أنام ؟.. أنت كذلك لم تنم بعد .. إن صوت أنفاسك المضطربة لم ينتظم قط .. » .

وثبت من الفراش وسرت حافى القدمين إلى حيث جلس .. وتربعت على مقعد بجواره ، وألقيت نظرة فضولية على الكتاب الذى يحمله .. كان له عنوان (عن الميثولوجيا اللاتينية) ..

ـ « آها !.. أنت تبحث عن (شاكال) ..! » .

ـ « للأسف إن ما كتب عنه بسيط جدًا .. نحن عمليًا نجهل كل شيء عنه .. » .

ـ « أعتقد يا د. (هنرى) أنك تبحث فى اتجاه خاطئ .. » .

« ماذا تعنى ؟ » .

أشعلت سيجارة وحككت مؤخر رأسى فى إنهاك :

ـ « أنت تبحث عن إله وثنى لم ولن يُوجد .. المشكلة ليست هى (شاكال) بل ما يحيط به من سحر أسود بثه كهنته .. » .

ـ « أنت تؤمن بالسحر الأسود إذن .. » .

ـ « تمامًا .. لكنى أستبعد تلقائيًا أية نظريات تُبنى حول (شاكال) و (إيزيس) و (جوبتر) وغيرهم من الأرباب الوثنيين الذين أفرزتهم مجتمعات التخلف وتعدد الآلهة .. » .

ـ « إذن ؟ .. » .

ـ « إذن .. مشكلتنا هى تعويذة السحر الأسود وليس (شاكال) ذاته » .

ثم إننى أغمضت عينى وبدأت أحاول التذكر ..

ها هى ذى الكلمات التى سمعتها ـ أو قرأتها ـ تعود لذاكرتى ببطء .. مذبذبة لكنها واضحة تمامًا ..

ـ « لأنه من النار تأتى النار .. وإلى الدخان يصير الدخان .. وفى الرماد يفنى الرماد .. » .

ـ « جميل ..!.. وهل هذا كل شيء ؟ » .

ـ « لا .. هناك دعوة .. نعم .. هى كذلك .. تعال إلى ملبيًا ندائى يا دم دمائى وابن أبنائى .. » .

- « همم !.. إن (الازتك) كانوا يظنون (شاكال) أبا البشر جميعًا .. وهذه الكلمات .. بأية لغة سمعتها ؟ » .

نفثت الدخان محاولًا التذكر ..

- « قلت لك لا أدرى .. إنه انطباع عام بالمعنى .. لغة هى فوق كل اللغات .. لغة تُفهم وتُحسّ لكنها لا تُكتب أو تُقرأ .. هل أبدو مخبولًا إذ أقول هذا ؟ » .

- « بتاتًا .. إنك تتحدث عن نوع من (التخاطر) .. » .

- « هو كذلك .. » .

قال د . (هنرى) وهو يضع ساقًا على ساق :

- « إننى أسائل نفسى عن معنى هذه الكلمات ..، ربّما كانت نوعًا من المحسنات اللفظية .. ولربمّا كان لها معنى غامض هام .. » .

- « تبدو لى نوعًا من التهريف .. » .

ضيق عينيه في شرود .. وغمغم :

- « من النار تأتى النار .. إلى الدخان يصير الدخان .. ليست هذه مجرد بلاغة وأقسم على هذا .. » .

قالها وأطفأ مفتاح الأباجورة لأن ضوء الصباح الناعس بدأ يتسرب عبر ستائر النافذة ..

- « أقسم على هذا .. » .

وهنا سمعنا صوت طرقات على الباب ..

★ ★ ★

الجـزء الخامس

لهيب الحبّ

يحكيه (باتريك أوكونور)

« إن الحب من طرف واحد لهو اللهيب بعينه .. اللهيب الذى لا تطفئه كل أنهار الأرض .. إننى أحترق يا سادة .. أحترق حقيقة لا مجازًا! » .

يقول (باتريك) :
إيرلندى نعم ..
حاد الطباع نعم .. حارّ العواطف نعم ..
لكن كبريائى ـ التى ورثتها عن جدودى ـ كانت أقوى من عواطفى ..

★ ★ ★

يقول (توم جونس) فى المذياع المقطع العذب من أغنيته الأخيرة :
ـ « لماذا لماذا يا حبيبتى (دليلة) ؟..
ـ كنت أدرك أن الفتاة لا تناسبنى ..
لكننى كنت ضائعًا ..
كعبد لا يملك بشر أن يعتقه .. » .
هل رأى (توم جونس) حبيبتى (جين) ؟.. بالتأكيد رآها وإلا فكيف ومن أين جاء بهذه النبرات المتحشرجة المبحوحة المحتضرة .. صوته يندى بالدموع واللوعة .. إنه يفهم ما أحس به خيرًا منى ..
لكنى إيرلندى ..
ولأننى كذلك سأطوى لوعتى فى ضلوعى وأبتسم ..

★ ★ ★

منذ جاءت إلى الفندق وهى تعذبنى ..

قاسية كانت .. ساخرة كانت .. لكن فؤادى - ذلك المعتوه - لم يجد سواها كى يتعلق به ..

وأنت تعرف قسوة الفتيات وبرودهن حين يعلمن أنهن لا يرغبن فى الرجل الذى يخطب ودهن .. هى لا تريدنى .. وتعرف أنها لن تريدنى أبدًا فى الفترة القادمة ، لهذا لا تعبأ بى ..

كل عنايتى الرجولية بها .. كل شهامتى .. كل الخدمات والتضحيات الصغيرة اليومية التى أقدمها لها تعتبرها هى من صميم حقها فى الحياة .. ولا تكلف نفسها حتى مجرد الشكر ..

★ ★ ★

« أنا .. أنا الذى لا أملك شيئًا ..
أنا الذى لا أحد لى ..
أهيم بك .. أريدك ..
أنا لا أحد ... بلا شىء أمنحه لك .
سوى .. أننى أحبك ! » .

(توم جونس)

★ ★ ★



منذ جاءت إلى الفندق وهى تعذبنى .. قاسية كانت .. ساحرة كانت .. لكن فؤادى ـ ذلك المعتـوه ـ لم يجد سواها كى يتعلق بها.

فندقنا يعجّ بشرائح النزلاء الذين اعتدناهم .. دائمًا هناك (زهور الحائط) والعجائز الذين يرمقون كل شيء في فضول واشمئزاز (غالبًا ما يكونون إنجليزًا وأنا أمقت الإنجليز) .. والشبان المستهترين المرحين .. دعك من الأمريكي الأشقر ومرافقه المصري الأصلع النحيل الذي يدخّن كأحد آبار جهنم ..

كان الجميع عاكفين على طعام الإفطار حين صعدت في الدرج إلى الحجرة رقم ٢٩ باحثًا عن (جين) .. كنت بحاجة دائمة إلى أن أراها بقربي رغم علمي التام بأن هذا لن يفضي سوى إلى المزيد من العذاب ..

وحين دخلت الحجرة - وكان بابها مفتوحًا - وجدت حبيبتي في مأزق غير عادي .. أنتم قرأتم الجزء الأول وتعرفون تمامًا ما حدث، لهذا لن أعيد السرد ..

فقط أقول لكم إنني كنت مسرورًا لأنني ساعدتها برغم تبجحها وفظاظتها الشديدة معي.. لم أكن لأتركها في مأزق كهذا أبدًا، وعلى كل حال كنت قد أزمعت إذا ما ساءت الأمور أن أزعم أنني مقتحم الحجرة.. وهي حركة فروسية لا أبغي عنها أجرًا، إنما هي عرفان بالجميل لأجدادي الايرلنديين الذين منحوني دماء الشهامة..

وحتى حين أبديت سرورى لإنتهاء الأزمة ؛ كان ردّها وقحًا عنيفًا إلى درجة أن الدمع كاد يطفر من عينى .. وهمست ..

- « أنت قاسية يا (سندريللا) ..! » .

كانت تجرع اللبن كقطة هانئة فرغت لتوها من التهام فأر ..

لكنى لست فأرًا .. ولن أكونه ..

يقول (توم جونس) :

- « وقفتْ هنالك تضحك ..

رفعت السكين فى يدى ..

فكفت عن الضحك ! » .

عبقرى هذا الـ (توم جونس) ..!..

أحقًا لم يرها بعد ؟!..

لقد تجاوز مرحلة وصف أدق مشاعرى إلى مرحلة التنبؤ لى بما ينبغى عمله وما سيكون ..!..

« لماذا .. لماذا يا حبيبتى (دليلة) ؟

ولذلك ..

وقبل أن يأتوا ليهشموا الباب ..

اغفرى لى يا (دليلة) ..

فلم أكن لأتحمل أكثر ..! » .

★ ★ ★

كنت هناك حين سمعت صوت الصراخ والعويل قادمًا من جهة غرفة المسنة (جونز) .. وشممت رائحة الشياط ..

ولمحت الرجلين - المصرى والأمريكى - يحاولان تهشيم الباب حتى نجحا فى اقتحامه فجأة .. ودخل حشد من القوم الغرفة وسمعت كلامًا كثيرًا عن المسنة (جونز) التى احترقت حية ..

كنت أبحث بعينى عن (جين) وسط الزحام ..

كانت ملقية برأسها على صدر إحدى النزيلات الشمطاوات وهى تنشج فى هستيريا .. وقد انتثر شعرها على وجهها الوسيم :

- « أنا السبب !.. ما كان يجب أن .. » .

كلام كثير مُختلط لم أفهمْ منه حرفًا ..

عم تتحدث هذه الفتاة ؟..

دنوت منها وربت على كتفها وبأرزن صوت همست :

- « (جين) يا ملاكى .. ماذا قد حد .. » .

كالملسوعة وثبت .. وكأن يدى هى عقرب وجدته على كتفها .. وبجنون صرخت :

- « ابتعد عنى !.. أنت السبب فى كل هذا ! » .

أنا السبب ؟.. كيف ؟.. لا أذكر أننى أحرقت المرأة على الأقل فى الساعة الماضية .. على أننى أستطيع استنتاج أن شيئًا قد حدث .. وهذا الشىء له علاقة ما بما اقترحته صباح اليوم ..

وعدت لغرفتى منهكًا ..

كنت أعرف أن دورًا هامًا ينتظرنى باعتبارى الرجل الوحيد الموجود من إدارة الفندق .. لكننى لم أكن فى حال تسمح لى بالقيام بهذا الدور .. سيستدعى أحدهم ـ فلماذا أكون أنا ؟ ـ الشرطة ورجال الإطفاء والإسعاف ..

إن يومًا شاقًا ينتظرنى حتمًا ولابد أن أنال قسطًا من الراحة ..

سيكون هناك شهود كثيرون يؤكدون لرجال الشرطة أنهم سمعوا الفتاة تتهمنى بأننى السبب ، فماذا أقول ساعتها وكيف أفسر ؟..

ثم .. السبب فى أى شىء بالضبط ..؟

ليتنى أستطيع الفهم ..

★ ★ ★

على أن رجال الشرطة تمكنوا من إيقاظى ..

كانت ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى حين قرعوا بابى .. وكانوا حفنة من الضباط المنهكين محمرى العيون معهم مفتش بدين يرتدى المعطف الكاكى اللون الذى يرتدونه جميعًا ..

وبدءوا يتأملون غرفتى فى فضول ، على حين أخرج المفتش مفكرة صغيرة وقلمًا من الرصاص ، وشرع يسألنى السؤال التقليدى الأبدى :

ـ « أين كنت حين حدث الحريق ؟ » .

ثم ....

ـ لماذا انعزلت فى غرفتك بعدها ولم يرك أحد ؟ » .

ـ « كنت مرهقًا مصدومًا يا سيِّدى .. » .

ـ يقول الشهود إنهم سمعوا الآنسة (هاربروك) تلومك على أنك السبب .. » .

ـ السبب فى ماذا ؟ » .

ـ « إننى من يسأل .. والآن أجب .. » .

ـ « البينة على من أدعى .. » .

ـ « إن مس (هاربروك) فى حال لا تسمح بالاستجواب ، وعلى كل حال دعنى أؤكد لك أن كل ملابسات هذا الاحتراق تدل على أنه حدث دون يد بشرية .. لا نعتقد أنه انتحار ولا أنه حادث .. لكننا واثقون أن هناك تفسيرًا ما .. فهل نجده لديك ..؟ » .

- « للأسف لا ... » .

يقول المفتش وهو يعيد المفكرة إلى جيبه وينهض :

- « طبعًا لا داعى للتأكيد أننا بحاجة إليك فى الأيام القادمة .. فلا تذهب بعيدًا إلى أن أخبرك أننا فرغنا منك .. » .

- « ليكن سيِّدى ... » .

★ ★ ★

ما أغربها وأطولها من ليلة !..

كانت خيوط الفجر تتسرب عبر الستائر ، وكان النوم قد خاصمنى حين خرجت من حجرتى أجوب ردهات الفندق المظلمة وفى رأسى ألف خاطر ..

كنت أمام الغرفة رقم ٢٨ حين سمعت صوت أحدهم يهم بفتح الباب .. فوثبت بخفة للوراء - بردّ فعل غريزى - لأرى القادم ..، واقفًا وحدى فى الظلام لمحت خيالًا مألوفًا يغادر الغرفة .. خيال امرأة .. بالتحديد خيال (جين) !..

ماذا تفعلين يا (جين) فى هذه الساعة هنا ؟!..

وكانت الإجابة سريعة للغاية ..

إذ لمحت خيال ذلك الرجل الأصلع النحيل الذى يدخن بشراهة .. لمحته مدثَّرًا بالظلام يقف مودعًا إياها على باب الحجرة .. وكان يرتدى البيجامة ..!

سمعته يناديها فى رفق :

ـ « وداعًا يا صغيرتى ..» .
وسمعتها تلتفت نحوه لتهتف فى شىء من اللوعة :
ـ « وداعًا .. لقد استرحت الآن ! » .
وفى خفة الغزلان شرعت تهرول عبر الردهة عائدة لغرفتها بينما أغلق بابه ..! إن هذا الذى رأيته ليس له سوى تفسير واحد ..
ومع من (جين) ؟.. مع هذا الخفاش الأصلع ؟.. مع هذا الثعبان الذى ينفث الدخان كالغلاية ؟.. أى انحدار فى ذوقك وأى ابتذال ..!
نيران الغيرة تلتهب فى صدرى وتحرق أطراف أعصابى ..
كانت معه فى حجرته فى ساعات الفجر الأولى .. بالتأكيد ليس لتنظيف الغرفة ولا للعب الشطرنج ..
وأنا .. أنا البائس المحتضر الذى حارب من أجل أن يقع على شبكية عينيك دون جدوى ، وهأنتذى تبحثين لديه عن السلوى .. عن العزاء .. عن نسيان الجروح التى خلفها فيك مصرع مس (جونس) ..
« لقد رأيت الضوء عبر نافذتها فى تلك الليلة ..
رأيت دليل خيانتها وقد سقطت ظلاله على ستائرها ..
كانت امرأتى ..

وحين خانتنى ..
غاب وعيى عنى ..
لماذا .. لماذا يا (دليلة) ؟
كنت أدرك أن الفتاة لا تناسبنى ..
لكنى كنت ضائعًا ..
كعبد لا يملك بشر أن يحرره .. » .
هكذا ترنم (توم جونس) .. وهكذا سمعت كلماته ..
« وحين أشرق الصباح .
وحين ذهب ذلك الرجل .
كنت هناك ..
عبرت الطريق إلى دارها ففتحت لى الباب ..
وقفت هنالك تضحك ..
رفعتُ السكين فى يدى فتلاشت ضحكتها ..! » .

★ ★ ★

كان قلبى يعمل بسرعة ..
بمعنى أصح لم يكن لعقلى دور فيما يحدث .. انتقل مركزى الحركى إلى الصدر ليسيطر على خلجاتى وتصرفاتى ، فقط ظل عقلى هناك يراقب ما يحدث ..
توجهت إلى المطبخ وأخذت سكينًا ..
أكبر سكين وجدتها هنالك ودسستها فى ثيابى ..



سيكون أمر (جين) سهلًا .. أما الآن فمن واجبى أن أتخلص من هذا الوغد أولًا .. لن أكون نذلًا مثل (توم جونس) فأترك الرجل سالمًا وأنتقم من المرأة .. بل سأبدأ بالرجل ..

اسمه (رفعت إسماعيل) .. فى العقد الخامس من عمره .. مصرى الجنسية .. أعزب .. وطبيب ..

أحب أن أعرف كل شىء عن أول إنسان أقتله فى حياتى ..

هذا التعس لن يعيش ليدخن علبة سجائر أخرى ..

فى تؤدة ـ كخطى القدر ـ أمشى نحو غرفته وأقرع الباب .. صوت رجل يتنحنح .. وخطًا تدنو من الباب ..

« سامحينى يا (دليلة) ..

لم أكن لأتحمل أكثر .. » .

....



الجـزء السادس

عن (باتريك) و (جين) وآخرين

يحكيه (هارى شلدون)

« قفل مهشم ليلًا .. عجوز محترقة عند منتصف الليل .. حسناء مذعورة عند الفجر .. عاشق سفاح مع بداية اليوم .. إله ازتيكى غاضب ..، تبًا لها من عطلة ، وتبًا لـ (رفعت إسماعيل) من رفيق فى الاجازات ! » .

يقول (هارى) :

فى غرفة (رفعت) ظللنا طيلة الوقت نناقش ـ مع عالم الآثار الانجليزى (هنرى بنسون) ـ سبيلنا للخلاص من لعنة (شاكال) ..

وكما عرفتم استقرّ رأينا على ألا نترك (رفعت) وحيدًا لحظة واحدة ..

وهو ـ كما تقدرون ـ ليس حلًا جذريًا إلا أنه كاف إلى أن نجد طريقة أفضل ..

أما عن نفسى فلم أحاول أن أنظر إلى القلادة فلربّما وقع المحظور واستطعت فهم الكلمات المكتوبة .. وعندئذ ..!..

لا أذكر متى نمت جوار (رفعت) فى الفراش على حين جلس د . (بنسون) يطالع بعض الكتب فى ركن الغرفة على ضوء الأباجورة الخافت ..

أية كوابيس زارتنى ..!، أى هلع شعرت به !.. كنت مرة مومياء مشتعلة يسيل منها الوهن فى احتفال همجى .. ومرة كنت أركض مفزوعًا بين الأحراش بينما يطاردنى شىء لا أدرى كنهه لكنى أخشاه كثيرًا ..

كنت أسمع سعال (رفعت) الخشن فأمزجه تلقائيًا بالحلم ثم أواصل النوم باحثًا عن عوالم مفزعة أخرى ..

وصحوت غارقًا فى العرق البارد ..

كان نور الفجر يملأ الغرفة وعلى مقاعد الأنتريه وجدت د . (هنرى) جالسًا وجواره د . (رفعت) بثياب النوم .. على حين كانت الخادمة الحسناء (جين) جالسة على مقعد ثالث مرتدية روبًا على قميص النوم وكانت الدموع فى مرحلة الجفاف على خديها ..

ماذا حدث ؟.. وماذا جاء بهذه الفتاة ها هنا ؟..

وثبت من الفراش منكوش الشعر - كالمجانين - ووقفت وسط مجلسهم متوقعًا أن هذا كله كابوس جديد ..

قال د . (رفعت) وهو يشير نحوى ونحو الفتاة :

- « مس (جين هاربروك) .. مستر (شلدون) .. أعتقد أنكما يعرف بعضكما البعض ..! » .

كدت أموت خجلًا من مظهرى المزرى الذى لا أسمح لامرأة سوى زوجتى أن تراه .. وهززت رأسى فى حرج محييًا ..

- « قال د . (بنسون) وهو يشير لى كى أجلس :

- « لقد جاءت مس (هاربروك) كى تقدم لنا اعتذارًا صغيرًا .. لقد اعترفت أنها من عبث فى حجرتى - بدافع الفضول طبعًا - وأخفت القلادة فى غرفة التعسة مس (جونس) ، وهى تعتقد - بل هى واثقة - من أن القلادة لها دور فيما حدث .. وقد جاءتنا باكية لتعترف وتريح

ضميرها .. وكانت قد شاهدتنا جميعًا ندخل غرفة د . (رفعت) فأدركت أن سرًّا معينًا يربط بيننا جميعًا .. ولم يخب ظنها كثيرًا .. » .

قلت فى غباء :

ـ « إذن مس (جونس) لم .. » .

ـ « لم تسرق القلادة لكنها بالتأكيد عثرت عليها وقرأت المكتوب عليها ..

وهذا يفسر لنا كل جوانب اللغز .. » .

قالت (جين) وهى ترتجف وتعضّ أناملها :

ـ « فى البدء ظننت أن تدخينها هو سبب الحريق .. ثم .... » .

ـ « هل كانت المرحومة تدخن ؟ » .

ـ « نعم .. سرًّا !.. ولم تكن تظن أننى أعرف .. » .

بدا الاهتمام على وجه د . (هنرى) وتبادل و (رفعت) نظرة ذات معنى .. ثم قطب جبينه وغمغم :

ـ « تدخين مرة أخرى .. هل فهمت ؟.. » .

ثم فتح أنامله وبدأ يعدّ عليها :

ـ « أولًا .. شمعة فى غرفة (فيتزجيرالد) .. سيجار مع لورد (كينزى) .. لهب (أسيتيلين) مع اللص الذى سرق خزينتنا .. سيجارة مع مس (جونس) ومع د . (رفعت) .. » .

سألته فى حيرة وأنا أحك رأسى :

ـ « هل تعنى أن كل هذه الحوادث حرائق عادية ..؟.. وكيف لم يحترق سوى الضحية ..؟.. حتى ثيابه ظلت سالمة .. » .

ـ « لم أقل شيئًا عن حرائق عادية .. أعنى فقط أن مصدرًا للهب لابد وأن يوجد على مقربة من الضحية .. لأنه (من النار تأتى النار) .. إن شروط الاشتعال الذاتى تتحقق إذا ما تواجد الشخص وحده وكان جواره مصدر ـ ولو كان واهنًا ـ للنيران .. » .

فى إرهاق حك د . (رفعت) صلعته وخلع النظارة :

ـ « إن هذا سبب وجيه حقًا للإقلاع عن التدخين .. » .

ـ « بقى أن نعرف معنى (فى الرماد يفنى الرماد) لأننى أعتقد أن خلاص هؤلاء التعساء يكمن فيها .. » .

أخذت أفكر عاصرًا ذهنى بحثًا عن فكرة مناسبة للموقف .. فى الرماد يفنى الرماد .. هل هى مجرد صيغة بلاغية ؟.. ما معناها أصلًا ؟.. أنا أمقت هذه اللهجات المتحذلقة للنبوءات القديمة ..

وهنا وجدت د . (رفعت) يشير للفتاة فى رقة وهو يرمق ساعته أن الوقت قد حان لتتصرف فأمامها يوم شاق ..

نهضت الفتاة معه وفتح لها باب الغرفة .. ثم حيَّاها وعاد ليجلس معنا مشاركًا إيانا حيرتنا وتساؤلاتنا ..

وتمضى الدقائق ..

هو ذا النهار الفتىّ يقتحم الغرفة بعد أن رحل الفجر الناعس ..

دقات متتابعة على الباب ..

أشرت لهما أن يظلا جالسين واتجهت للباب كى أفتحه ..

وجه (باتريك أوكونور) الساقى الإيرلندى الصميم يتبدى لى .. ثم نظرة ذاهلة فى عينيه .. نظرة مسحت الغرفة سريعًا وحركة تراجع لم يكملها ..

وسمعت صوت الرنين ..

السكين التى كان يخفيها فى ثيابه سقطت منه على الأرض، حاول أن يستدير لكنى لويت ذراعه بعنف ثم وجهت له ركلة بركبتى أسفل ظهره أطفأت حماسه قليلًا .. ثم دفعته بعنف إلى داخل الغرفة ..

صاح (رفعت) فى دهشة وهو يعيد منظاره إلى أنفه :

ـ « (باتريك) ؟.. ماذا أتى بك هنا ؟ » .

قلت من بين أسنانى وأنا أوجه له ركلة أخرى (للساقى) وليس (رفعت) طبعًا) :

ـ « ماذا أتى به هنا ؟.. يا له من سؤال!.. أتى ليذبحك طبعًا! » .

ـ « يذبحنى أنا ؟.. وماذا فعلت له ؟ » .

ـ « هذا هو السؤال الذى سيجيبنا عنه بكل أمانة ..! » .

على المقعد جلس الفتى مداريًا وجهه بكفيه .. وبعد دقائق من النشيج فهمنا منه أنه ظن أن الفتاة كانت مع (رفعت) لغرض لا داعى لذكره .. متهورون هم هؤلاء الإيرلنديون .. متهورون وحمقى .. متهورون وحمقى وعميان .. (رفعت) ؟!.. ألا تجد فتاة سوى (رفعت) ؟.. (رفعت) الشبيه بمكنسة تساقط القش من عليها ؟!.. (رفعت) الذى يسعل كمصحة درن كاملة ؟

ـ « أعتقد يا بنى أنك تسرعت كثيرًا .. لقد جاءتنا فتاتك كى تصارحنا بما حدث أمس فى غرفتى .. إن لهذا علاقة قوية باحتراق السيدة العجوز » .

قالها د . (بنسون) وهو يقدم للفتى قدحًا من القهوة من ترموس وجده جواره .. كنت قد طلبت هذه القهوة بالأمس لبداية الأمسية وقدم له (رفعت) سيجارة .. لكن الفتى لم يمدّ يده للقدح .. كانت عيناه الزجاجيتان متصلبتين على القلادة الملقاة على المائدة أمامنا .. لمحته يرتجف .. يبتلع ريقه .. شعر رأسه ينتصب ..

في هلع صاح د . (بنسون) وهو ينتزع القلادة من أمامه :

- « يا للهول !.. لقد فهم النقوش !.. إذن هو لم يلق نظرة عليها حين وجدها مع الفتاة أمس ! » .

لكن الفتى كان قد تحول إلى كتلة من السُعار البشرى .. وثب كالملسوع إلى القلادة فانتزعها من يد د . (بنسون) .. ثم عاجلنى بركلة فى أسفل بطنى جعلت الهواء يخرج من أذنى .. أما (رفعت) المتهالك فلم يتحمل سوى دفعة واحدة جعلته يقفز مترين إلى الوراء ..

وفى اللحظة التالية كان الفتى يركض هاربًا من الحجرة ..

صرخ د . (بنسون) وهو يركض خلفه :

- « الحقوا به !.. إنه يبحث عن فرصة يستكمل فيها قراءة المكتوب .. إنه يسير نحو هلاكه مفتونًا .. » .

تمالكت نفسى ووثبت خلف د . (بنسون) عازمًا على أن أكون الأول .. وخرجت للردهة .. وهنا سمعت صوت (رفعت) يئنّ قادمًا من الغرفة ..

- « (هارى) !.. لا .. تترك..... » .

يا للمصيبة !.. لقد نسيناه وتركناه فى الغرفة وحيدًا .. مع ماذا ؟.. مع لفافة التبغ التى قدمها للفتى !..

عدت له جريًا فوجدته فى أسوأ حال .. كان ساقطًا على الأرض والعرق يغمر جسده ، وأكاد أقسم أن رائحة شياط بدأت تنبعث من شعره .. أطفأت لفافة التبغ وساعدته على النهوض ..

ـ (شاكال) .. لقد .. شعر .. برحيلكم .. » .

ـ « اطمئن أيها العجوز .. لن نتخلى عنك بعد الآن .. قلت لك مرارًا أن تكفّ عن التدخين وعن تقديم السجائر للناس .. » .

وأسند رأسه على صدرى وشرعنا نمشى للردهة الخارجية .. كانت هذه هى اللحظة التى دوت فيها الصرخة الثنائية المروعة .. هرعنا جارين إلى مكانها ..

كان هذا هو المطبخ .. جوار الموقد المشتعل ..

وكان هناك جسدان متلاحمان ينبعث منهما الدخان واللهب الأزرق الكئيب .. لكن أبشع ما فى الموضوع هو أن ثيابيهما لم تحترق .. كان أحد الثوبين هو ثوب الساقى (باتريك) .. أما الآخر فثوب (جين) خادمة الغرف الحسناء ..

كان الجسدان يتلويان .. لكن ملامحهما قد اختفت نهائيًا فى سحابة من الدخان والرماد .. وكان د . (بنسون) عاكفًا فى هستيريا على دلو من الماء وضعه على الحوض يحاول ملأه ليطفىء هذا اللهيب ..

وهنا سمعت (رفعت) يصيح ـ برغم إنهاكه ـ وهو يسدّ الطريق بجسده :

ـ « لقد انتهيا يا د . (بنسون) ..!.. انتهيا !.. ولا جدوى



توجهت إلى المطبخ وأخذت سكينا ..

أكبر سكين وجدتها هنالك ودسستها فى ثيابى ..

من محاولة إنقاذهما .. دع الرماد يفنى .. ففى الرماد يفنى الرماد..!».

وهنا سمعنا صوت التمثالين الفحميين يتهشمان .. وعلى الأرض تهاوى الرماد وسقط الثوبان المفرّغان سالمين لم تمسهما النار ..

ـ « هل ترى ؟.. ها هى ذى القلادة !.. » .

كان د. (رفعت) يشير إلى شىء معين بين الرماد ..

ـ « هل ترى ؟.. إنها تتفتت ..!.. تتفتت !.. لقد فنى الرماد فى الرماد كما قالت اللعنة .. » .

بدأ الهدوء يسود المكان فيما عدا صوت ألسنة اللهب المحتضرة الأخيرة تقرقع فى السّكون .. وسمعنا صوت نزيل أو أكثر يسأل عما حدث ..

كان د. (بنسون) يلهث وقد شحب وجهه كالموتى ..، وفى تؤدة بدأ يشرح لنا ما حدث .. وكيف حدث ..

كان تفسيره مقنعًا .. لكنه مريع .. مريع ..

لقد انتهت المأساة.. لكنها ستظل حية فى ذاكرتى إلى الأبد..

ومن بعيد سمعت صوت (توم جونس) يترنم فى مذياع بعيد :

« اغفرى لى يا (دليلة) ..
فلم أكن لأتحمل المزيد .. » .

....

★ ★ ★

الخاتمة

تعليق على ما حدث

يحكيه د . (رفعت)

انتهت لعنة (شاكال)..!
مثل أى شىء مفزع انتهت .. ومثل كل ما هو مبهج انتهت ..

لقد وجد الفتى الايرلندى المطعون فى عاطفته السبيل للقضاء على القلادة ..، فهو فهم الكلمات وأيقن أن (شاكال) يناديه وأنه لابد سيلبى النداء .. لكنه لم يرد أن يموت وحيدًا ..

استجمع إرادته وجرى من الغرفة باحثًا عن (جين) .. وحين وجدها فى المطبخ واقفة أمام الموقد ؛ وضع القلادة أمام عينيها ..

كان يعرف ويؤمن أنها ستتمكن من قراءة الكلمات .. كان واثقًا من هذا ثقته من أنهما سيموتان معًا ما داما لن يعيشا معًا ..

وحين قرأت الفتاة الكلمات أدركت أن (شاكال) يناديها ، وعانقها الفتى بينما نيرانه تشتعل .. ونيرانها تشتعل هى الأخرى .. كانا يحترقان معًا..

ربّما للمرة الأولى فى تاريخ هذه اللعنة ..

أية نيران انبعثت من قلب الفتى المكلوم !.. وأية حرارة تصاعدت من صدره الجريح ..!.. كان اللهب أقوى من قدرة القلادة ذاتها .. فى رماد الفتى فنى رماد الفتاة وذابت القلادة ..

لقد تكفل انتقام الفتى بتدمير مصدر اللعنة ذاته ..

★ ★ ★

وماذا عنى أنا ؟..

لقد عشت فترة لا بأس بها من الرعب وتوقع الهلاك ، لكننى بعد تجارب رصينة أجراها علىّ د. (هنرى بنسون) أيقنت بأننى نجوت للأبد من مخالب السحر الأسود الذى قذفه كهنة (شاكال) فى طريقى منذ قرون عدة ..

لن أحترق ذاتيًا فى هذا العالم وأدعوا الله أن يعصمنى من نهاية مماثلة فى العالم الآخر ..

أدعوا الله ـ كذلك ـ أن يهب لى القدرة على النسيان ..
فقد كان ما رأيته فى هذه المرة بالذات أكبر من تحملى ..

ثمة نقطة أخيرة أريد أن أضيفها ..

من البديهى أننى لم أتمكن من لقاء مس (جونز) ولا (باتريك) لمعرفة القصة على لسانيهما لكننى قمت بصياغة أدبية لما يمكن أن يكونا قد كتباه لو أنهما كانا من أرباب القلم ..

والآن يمكننى أن أضع القلم بعد أن انتهيت من حكايتى الثالثة عشرة والتى أرجو أن تكون قد راقت لكم ..

فى المرة القادمة نمضى معًا عبر الثلوج باحثين عن رجل الثلوج الرهيب الذى قالوا عنه الكثير من الهراء .. لكنهم لم يسألونى قط أنا الذى رأيته رأى العين ..

ستروق لكم حكايتى القادمة كثيرًا ، وسترتجفون لا يدرى أحدكم أمن عواصف الجليد أم من الهلع ..

ولكن هذه قصة أخرى .

د . رفعت إسماعيل
القاهرة ١٩٩٣



ماوراء الطبيعة

روايات تحـبس الأنفـاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

• صدر من هذه السلسلة •

١ ـ أسطورة مصاص الدماء.
٢ ـ أسطورة النـــداهــة .
٣ ـ أسطورة وحش البحيرة.
٤ ـ أسطورة آكل البشــر .
٥ ـ أسطورة الموتى الأحياء.
٦ ـ أسطورة رأس ميدوسا .
٧ ـ أسطورة حارس الكهف.
٨ ـ أسطورة أرض أخرى.
٩ ـ أسطورة لعنة الفرعون.
١٠ ـ حلقـــة الــرعـــب .

• تحت الطبع •

١١ ـ أسطورة الكاهن الأخير.
١٢ ـ أسطـورة البيـــت .
١٣ ـ أسطورة اللهب الأزرق.
١٤ ـ أسطورة رجل الثلوج .
١٥ ـ أسطورة البنـــات .







د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب



سلسلة **نوفا** للخيال العلمى

قصص من عالم الغد

رءوف وصفى

رقم الإيداع : ١٦٠٦

الدكتور (رفعت إسماعيل) مع القراء

أصدقائى ...

مرة أخرى أجلس إليكم لأرد على استفساراتكم المحببة إلى نفسى ، والتى تضىء شمسًا من الاهتمام فى صدرى المظلم العجوز ، الذى سدّ دخان التبغ شُعَبه وشُعيباته ..

لن أطيل عليكم وصف ما تحدثه خطاباتكم فى روحى ، وسأبدأ على الفور فى الردّ عليها :

● **الصديقة هدى سعد العنانى ـ طنطا :**

ذكرت نقطة أثارت قلقى ، هى أنها لا تستطيع أن تخلد إلى النوم بعد قراءة قصصى .. أرجو ألا يكون الرعب هو السبب يا (هدى) لأن هذا آخر ما أرجوه ..

أشكرك كثيرًا على عبارات الإطراء الرقيقة ، ويشرفنى كثيرًا أن أكون صديقك بالمراسلة ولكن ليكن ذلك على صفحات هذه السلسلة ..

تقولين يا (هدى) إنك تهوين الأدب ، وأن لك صولات عدة رابحة فى المسابقات المحلية ..، يسرنى أن أبدى رأيى فى هذه الكتابات إذا أنت أرسلتها لى فى خطاب

مُسجّل .. وأعدك أن يكون هذا الرأى خاليًا من المجاملة ومن الغلظة .. فالغلظة تتلف البراعم الصغيرة التى قد تصير أشجارًا شامخة يومًا ما ..

سأحاول كذلك - بشرط الجودة - أن أجد لك سبيلًا للنشر ..، وأنا بانتظار خطاب مُتخَم منك ....

ثمة سؤال سألته عن مؤلف هذه السلسلة ، وهل هو طبيب نفسانى أم لا .. بالواقع لا .. إنه طبيب باطنى .. لكن علم النفس متغلغل فى الأدب إلى حدّ أنك لا تعرفين متى ينتهى هذا ويبدأ ذاك .. وأحيانًا ما يجد المرء صعوبة فى تصديق أن (دستويفسكى) العبقرى الروسى لم يكن محللًا نفسيًا متبحرًا فى علمه .

● الصديق محمد شوقى عبد الفتاح مهدى - القاهرة .

قاطعة جدًا هى آراؤك يا (محمد) ، وتنم عن شخصية كاسحة لا تقبل أنصاف الحلول .. وهذا - بالمناسبة - مديح حقيقى .

العيوب التى تراها فى السلسلة هى :

أولًا : شرح بالغ التعقيد وإطالة الأحداث . ولِمَ لا يا (محمد) ؟.. إن الإنسان هو ما يهمنى فى هذه الأحداث ..

يجب الاقتراب منه ودراسته بعمق، وكما قال (شارلى شابلن) : « أنا أفضل تصوير ملامح رجل يقلب فنجانًا من الشاى على تصوير بركان ينفجر » تلك هى طبيعتى وذلك هو تكوينى .

ثانيًا : لماذا لا نرى أسطورتين فى عدد واحد ؟.. كما قلت آنفًا كان السبب هو قصر القصتين الأولى والثانية . أعتقد أن نشر قصتين فى عدد واحد سيجعل كلتيهما مقتضبة أو سيجعل العدد سميكًا للغاية .. وكلا الحلين عسير التنفيذ .

ثالثًا : النهاية المفتوحة فى (أسطورة الكاهن الأخير) ...، تقول ـ كما قال (شكرى) فى حلقة الرعب ـ إنك تمقت النهايات المفتوحة . هى ليست مفتوحة يا (محمد) بل هى لم تستكمل بعد .. مثلها مثل أية قصة مسلسلة . ولسوف تقرأ التتمة فى (أسطورة النافاراى) إن شاء الله .

تقول كذلك إن أفضل الأعداد هو العاشر وأسوأها هو الثامن .. الواقع أن هناك تضارب آراء مهولًا حول هذا العدد الثامن ، وأعتقد أن نصف القراء شغفوا به حبًا ونصفهم كرهوه إلى حدّ الانتحار .. وهكذا طبيعة الأشياء ..

ستتكرر فكرة العدد العاشر كل عشرة أعداد إن شاء الله ، وسيكون العدد العشرون هو (حكايات التاروت) .

بانتظار المزيد من خطاباتك الممتعة يا أخ (محمد) .

● الصديق أحمد فتحى حسن شاهين ـ الإسكندرية :

شكرًا على كل هذه الكلمات الرقيقة . تتساءل يا (أحمد) عن سبب تسمية باب الأصدقاء باسم (د . رفعت إسماعيل مع القراء) بدلًا من تسميته باسم المؤلف .

هذا شيء طبيعى لأن د. (رفعت) ـ أنا ـ هو من يستضيفكم ، وهو من يحكى لكم خواطره وذكرياته .. أرى أنه من الأوقع أن يكون اللقاء معى مباشرة دون وسيط حتى ولو كان مؤلف هذه السلسلة .. بانتظار المزيد من خطاباتك .

● الصديق نايف نايل قبورى ـ المملكة العربية السعودية :

اعتدت خطاباتك اللطيفة يا أخ (نايف) ـ ثلاثة خطابات حتى الآن ـ بورقها الصغير وخطها الدقيق (المنمنم) ..

وفى كل خطاب تطالبنى بزيادة جرعة الرعب أكثر .. أرجو أن تراجع خطاب الصديقة (هدى سعد) ، وأكرر مرة أخرى أن الرعب ليس هدفى فى حدّ ذاته .. إن ما أصبو إليه لهو التشويق .. تتساءل يا (نايف) عن السبب الذى جعل المجذوم يقوم بتهديدى وبرغم هذا لم أصب بالجذام (أسطورة الموتى الأحياء) .. الجذام يا (نايف) لا ينتقل

باللمس ولا يسرى بهذه السرعة .. يحتاج المرء إلى معايشة طويلة لمريض الجذام كى ينتقل المرض إليه عن طريق التنفس .. بالإضافة إلى أن حالات الجذام واضحة التشوه لا تكون معدية إلى هذا الحدّ ..

لم ترق لك (أسطورة الكاهن الأخير) و (أرض أخرى) لإفتقارهما إلى الرعب .. سأحاول أن أقدم لك ما يروقك فى الأعداد القادمة ..

● الصديقة إنجى سامى حسين حسن ـ بورسعيد .

خطاب ظريف رقيق يا (إنجى) مزدان بصور من عالم (ديزنى) الرائع .. أثار دهشتى أنك لم تقرئى شيئًا بعد (حارس الكهف) برغم أن الخطاب بتاريخ ٩٤/٧/١ .. أرجو أن تكونى قد وجدت الأعداد الأربعة التالية بنهاية ذلك الصيف ..

أما عن أعمالك الأدبية فيسرنى أن أطالعها إذا ما أرسلتها لى بخطاب مُسجّل، وسأردّ عليك ردًا موضوعيًا تفصيليًا ..، ولتكن قناة الاتصال بيننا هى هذا الباب ..

● الصديق محمد سليمان ـ الإسكندرية .

يرى أن هناك عيبين فى السلسلة :

أولا : عدم الاهتمام بالوصف وخاصة ما يصادفنى من أشباح مما يجعل من العسير تخيلها . بالفعل حدث هذا مع (حارس الكهف) و (لعنة الفرعون) وكنت آمل بهذا أن أترك لكل قارئ أن يتصور شبحه الخاص فلا أفرض تصورى أنا ..

وعلى كل حال لم يتكرر هذا فى القصص التالية .

ثانيًا : يلومنى على كونى ضعيفًا ومدخنًا ويرى أنه من غير اللائق أن أصير بطلًا .. ألم تؤثر فيك (العشرة) يا أخ (محمد) حتى تريد أن يأخذوا منى السلسلة ليعطوها لشاب وسيم قوى ؟!.. إن لى عيوبًا - وعيوبًا رهيبة - لكنى ظننتكم اعتدتم عليها نوعًا .. إننى أحبكم حقًا فاقبلونى كما أنا ..

● الصديق محمد إبراهيم العجمى - المحلة الكبرى .

أعتقد يا (محمد) أن نشر صور الأصدقاء فى نهاية كل قصة متعذر فنيًا ، وعلى كل حال آراء الإنسان تجعلنا نعرفه ونفهمه أكثر بمراحل مما تساعدنا صورة وجهه التى قد لا تدلّ علـــى شىء ، ولا تهـــم سوى صاحبهـــا فى أغلب الأحيان ..

تتساءل كذلك يا (محمد) عن الكيفيـة التـى وجُـد بهـا (سالم) فى أرضنا هذه ليعطى الأوراق لى (أسطورة أرض أخرى) برغـم أنـه فارق هذه الأرض فى غمـار الـقصة ، وبالتالى يستحيل عليه العودة إليها ..

الواقع أننى أردت القول أن الأرض التى فارقها (سالم) وزوجته هى أرض أخرى غير الأرض التى نعيش عليها نحن .. ربما كانت نهاية القصة أكثر وضوحًا .. وعلى كل حال أعترف أن الموضوع كله يثير الدوار حتى بالنسبة لى ..

بانتظار مزيد من خطاباتك ، وآرائك المثمرة يا صديقى العزيز ....

● الصديق أحمد حيدر حسن :

شكرًا جزيلًا يا (أحمد) على خطابك الرقيق .. كتبت خطابك فى صورة تحقيق (سين وجيم) ولا أملك سوى الردّ بنفس الأسلوب .

س ١ : لماذا كفّ د. (رفعت) عن أن يكون (هادم أساطير) منذ القصة السابعة (حارس الكهف) ؟

ج ١ : إن (هادم الأساطير) لم تكن مهنة محتومة علىّ . أحيانًا كان علىّ أن أعترف بأن الأسطورة حقيقية حسب الظروف ، وحسب قابلية الأسطورة للتفسير دينيًا وعلميًا .

س ٢ : كيف عاد (سالم) وزوجته إلى أرضنا برغم تركهم لها ؟

ج ٢ : أرجو أن تقرأ ردّى على الصديق (محمد إبراهيم) فى نفس هذا العدد .

أما عن إرسال صورة شخصية للمؤلف ، فكما قلت سابقًا : أنا لن أصل إلى هذا الحدّ من الرعب ! ، ويشرفنى أن تكون لى صديقًا دائمًا على صفحات هذا الباب .

● الصديق يوسف لويس ـ القاهرة :

١ ـ تسألنى يا (يوسف) عن سلاسل أخرى تكون من الخيال العلمى ، وهذا محتم إن شاء الله ولكن لن أكون أنا (رفعت إسماعيل) بطلها بالطبع ، هناك وجوه جديدة فى الطريق ، لكن موضوعًا كهذا يحتاج إلى بعض الوقت لدراسته .

٢ ـ متى تنتهى السلسلة ؟.. تنتهى حين أموت أنا أو المؤلف أو تطردنا المؤسسة شر طردة . ولا يوجد ما ينذر بهذا فى الوقت الحالى على الأقل .

٣ ـ لماذا لا أكتب القصة فى جزأين ؟.. حاولت هذا فى (أسطورة الكاهن الأخير) وجزئها الثانى (أسطورة النافاراى) .. لكنى أحبّ أن يكون طول القصة معقولًا لا هى قصيرة فلا تشبع .. ولا هى طويلة فتتخم أو تترهل أحداثها .. وأعتقد أن د. (نبيل فاروق) يتمتع بموهبة غير عادية فى أن يطيل قصصه ويحتفظ بتشويقها وإيقاعها مع ذلك ..

٤ ـ لماذا تركت القلم لسواى فى القصة الثامنة ؟..
كان هذا منعًا للإملال يا صديقى (يوسف) .. أساعد القراء على أن يستريحوا من ثرثرتى ودخان سجائرى من حين لآخر .. ولسوف أتخلى عن القلم لكل صاحب قصة غريبة يرويها لكم مثل (سالم) وغيره ..

٥ ـ لم تفهم نهاية العدد الخامس وما فعلته الأم (مارشا) مع (الزومبى) .. إنها لم تحاربهم يا (يوسف) فقط خطبت فيهم جاعلة إياهم يدركون أن هناك من استغلهم بقسوة ..، ولربما لجأت إلى شىء من السحر كى تستميلهم لصفها .. المهم أنهم صاروا جنودها وهاجموا منزل الطبيب الفرنسى .

بالمناسبة .. لم أعرف سنك يا (يوسف) وكم كنت أودّ لو عرفته ....

● الصديق علاء الدين عبد العزيز ـ القاهرة .

لم يصلنى أى خطاب من خطاباتك الخمسة يا (علاء) .. صدقنى .. وبالمناسبة صار كل خطاب يصلنى يبدأ بسطر شكر للصديقة (هبة أحمد خليل) التى أوجدت هذا الباب .. وأنت كذلك تشكرها يا (علاء) وتؤكد أنك صاحب الفكرة أصلًا .. لا بأس .. المهم أننا معًا وأننا نكن لبعضنا الاحترام والمودة ..

ترى يا (علاء) أن أسلوب (المتكلم) الذى أستعمله يدل على أننى سأنجو فى كل مرة مما يفسد التشويق .. وهذا هو ما قلته أنا نفسى فى (وحش البحيرة) ، لكنك تقرأ مغامرات (أرسين لوبين) .. وتعرف فى كل مرة أنه من المستحيل أن يموت لكنك تتناسى هذا وتندمج فى الأحداث ..

إن مزية أسلوب (المتكلم) هى أنها تجعلك تعيش الموقف أكثر .. وتقربك من بطل القصة حتى لتعدّ أنفاسه وتسمع نبضات قلبه .

أما عن إصدار أعداد خاصة فأنا أكتفى بعدد ممتاز سميك نوعًا كل عشرة أعداد .. وهذا كاف على ما أعتقد ..

أما عن صدور عدد كل أسبوعين فهذا يناسبنى ـ أنت تعرف ولعى بالثرثرة ـ لكنه لا يناسب المؤسسة لاعتبارات تسويقية وإنتاجية هم أعلم بها هنا .. وهذا مجالهم الذى لا ينافسهم فيه أحد ..

و ..... أنا بانتظار خطابات أخرى ....

● الصديقة هبة السيد مصطفى أحمد ـ المنصورة .

ترين يا هبة أن لى أفعالًا تريحك كثيرًا ، إلا أن أفكارى لا تتمشى معك بتاتًا .. وهذا هو ما جذبك إلى السلسلة ..!

رأى غير عادى .. لكن لا بأس به ما دمتُ قد كسبتُ صديقًا جديدًا ..

لك رأى آخر لا يخلو من الوجاهة هو أن أزيد جرعة الرعب فى القصص القادمة لأن من يقبلون على هذه السلسلة هم من يرغبون فى الإثارة والتشويق والشعور ـ إلى حدٍ ما ـ بالرعب .. أشكرك على هذه النقطة التى لم تخطر لى من قبل ..

أما عن كون المصادفة هى ما ينقذنى فى كل قصة من قصصى فأمر لايخلو من مبالغة يا (هبة) .. أين دور المصادفة فى (رأس ميدوسا) أو (حارس الكهف) أو (لعنة الفرعون) ؟ وقد نجوت فيها جميعًا بكفاح مرير واستنتاج منطقى سواء منى أو من سواى ..

أنتظر منك المزيد من الآراء المثمرة كالتى كتبتها لى فى هذا الخطاب .

● الصديق أشرف رشاد ـ الإسكندرية .

سعدت كثيرًا بـ (نا الدالة على الفاعلين) فى خطابك ، والتى تقول إنك تعبر بها عنك وعن صديقك (محمد عبد الحفيظ) . كما سعدت بكل سطر فى خطابك الرقيق وإعجابك بقصة (أسطورة أرض أخرى) . وأعدك بقصص أكثر إمتاعًا إن شاء الله .

عنوانى الدائم هو عنوان المؤسسة ، ويشرفنى أن أتلقى خطاباتك بشكل دائم منتظم . وبالطبع يهمنى أن

أعرف (ماذا لم يرق لك) أكثر بالتأكيد من معرفة (ماذا راق لك). خاصة وأنتما نموذج جيد لشباب الجامعة المثقف.. فلا تنسيا الشيخ (رفعت إسماعيل) أبدًا .

● الصديق فؤاد السعيد ـ الرياض .

تلقيت خطابك الرقيق بوافر الامتنان والشكر . لاحظت أنك لم تقرأ سوى الكتيب الأول والسابع . ولما كان الخطاب قد وصلنى متأخرًا قليلًا فإننى أرجو أن تحدّد لى الأعداد التى لم تقرأها حتى هذه اللحظة لأرسلها لك ، وإن كنت أرجح أن المكتبات الكبرى فى (الرياض) خاصة فى (العليا) توجد بها كل مطبوعات المؤسسة ..

ترتيب القصص التى صدرت موجود فى قائمة مطبوعات المؤسسة صفحة (٥٢) وفى الصفحة الأخيرة من الكتيب العاشر ، وصدور الأعداد يتم بعد حوالى سنة من كتابتها ، لهذا توجد الآن حوالى ثمانية أعداد تحت الطبع ..

أما عن صدور سلسلة جديدة فمشروع وارد وجارى دراسته ، وما زال (سالم وسلمى) و (الكاهن الأخير) ينتظران رسائل القراء لمعرفة ما إذا كان انفصالهما عن (ما وراء الطبيعة) أمرًا مرغوبًا فيه أم لا .

فإن لاقت الفكرة استجابة إيجابية فلك أن تتوقع صدور سلسلة منفصلة تحوى مغامرات (سالم وسلمى) أو (الكاهن الأخير) ، وإلا سيظلان يعملان من خلال مذكراتى أنا د . (رفعت إسماعيل) .

شكرًا جزيلًا مرة أخرى وأرجو مداومة الكتابة .

● الصديق ماهر ماجد الويسى ـ الضفة الغربية .

بلى يشرفنى أن يكون لى أصدقاء من (فلسطين) أرض الفداء .. ويشرفنى أن أتلقى خطاباتك الرقيقة وهأنذا قد رددت على خطابك .. متأخرًا بعض الشىء ـ هذا حق ـ لأننى لم أملك وسيلة اتصال سابقة .

بخصوص موضوع إرسال صورتى لك .. فأنا أهوى الرعب لكن ليس إلى هذا الحدّ !.. سيكون هذا عملًا غير إنسانى ، وأنا لم أصل بقسوتى إلى تلك الدرجة بعد ....

تقول يا (ماهر) إننى لم أحسم الأمور فى (أسطورة مصاص الدماء) ولم أمحُ الخرافة . واضح تمامًا يا (ماهر) أنك لا تحب النهايات المفتوحة المفعمة بعلامات الاستفهام .. تقترح علىّ أن أقابل د . (رتشادر كامنجز) فى قصة تالية ويحكى لى ما حدث بالتفصيل ....

الواقع أننى سأقابله فعلًا فى قصة لاحقة ، لكننى لن أحكى ما حدث إلا فى حينه .. وعلى كل حال لم تنته قصصى مع مصاصى الدماء بعد .. وستقرأ يومًا ما (أسطورة الشاحبين) و (أسطورة دماء دراكيولا) و (أسطورة نوسفيراتو) .. إن طال بنا العمر طبعًا ....

أما عن كون السلسلة جاءت لهدم الخرافات فهذا شرف لا أدعيه .. أنا لم أهدف لهدم الأساطير ولم أهدف لإحيائها .. الأمر - ببساطة - هو أننى أحاول أن أكون مسليًا بأقل قدر من الابتذال وأكبر قدر من الإفادة .. وإن أكبر آمالى لهو أن تغلق الكتيب بعد الانتهاء منه وتغمغم : لا بأس به أبدًا !.. وأن تترسب فى ذهنك معلومة عن مرض (أديسون) أو جغرافية جزر (الكاريبى) أو فن التحنيط الفرعونى ....

هذا هو كل ما أتمناه ولم أحلم يومًا أن أكون مصلحًا اجتماعيًا أو داعية تنوير ... فلا تحملنى ألقابًا أكبر منى يا صديقى العزيز ....

بانتظار خطاباتك الدائمة ، وثق أن قائمة أصدقائك - وأصدقائى - قد زادت اسمًا جديدًا .....

● الصديق عمار يحيى النجار - اليمن .

أشكرك على كل هذه العبارات المجاملة . بخصوص تقديم سلاسل جديدة .

أعترف بأننى أدرس الفكرة .. وكما قلت للصديق (فؤاد سعيد) ؛ هذا أمر يتوقف على استجابة القراء للكاهن الأخير و (سالم وسلمى) .

بانتظار المزيد من خطاباتك .

● الصديق أحمد فتحى حسن شاهين - الإسكندرية .

أعتذر كثيرًا عن إرسال صورتى لك لأن هذا - كما قلت - عمل يتسم بقسوة لا مبرر لها !..

(رفعت إسماعيل) - أنا بلا فخر - هو مزيج من شخصيات عديدة بكل ما فيها من إيجابيات وسلبيات ، وليس نمطًا واحدًا بعينه .. إن ذاكرة الكاتب هى شىء شبيه بخلاط (أسمنت) يتلقى الرمال والزلط والأسمنت فيمزجها بعناية ليصنع منها (خرسانة) صالحة لتشييد بناية كاملة لم يكن لها وجود ..

تقول كذلك يا (أحمد) إن (أسطورة أرض أخرى) هى أسخف وأضعف قصصى وإنها تتناقض فى مستواها بشدة مع القصص السبع السابقة ، حتى أنك تعتقد أن شخصًا آخر كتبها لى ..

هذا رأيك وأنا أحترمه بشدة .. لكن النقد البناء هو النقد الذى يبين جوانب الضعف .. أما النقد الذى يكتفى بالقول

(هذا ردىء) و (هذا حسن) فهو نقد (انطباعى) غير موضوعى..

فى العدد العاشر رددت على الصديقة (هبة أحمد خليل) التى لم ترق لها أشياء عديدة فى (أسطورة حارس الكهف) .. لكنها ذكرت ما لم يرق لها، وتعلمت منها أن (الفلاش فورورد) ليس أسلوبًا مستحبًا .. وتعلمت من الصديق (ماهر ماجد) فى هذا العدد أن النهايات المفتوحة لا تعجب عينة لا بأس بها من القراء ...

هل فهمت ما أردت قوله ؟.. إن رفض العمل ككل ـ دون إبداء أسباب ـ له مبرران : أن يكون نقدك انطباعيًا لا يثرى الحوار .. أو أن يكون العمل دون مستوى المناقشة أساسًا، وأنا لا أعتقد أن (أرض أخرى) وصلت لهذا الدرك وإلا لما امتدحها كثيرون .. وفى هذا العدد نفسه تقرأ خطاب الصديق (أشرف رشاد) الذى يعتبر (أرض أخرى) البداية الحقيقة للسلسلة ...

إن تباين الأذواق لحقيقة .. ولولاه لبارت السلع ..
أشكرك كثيرًا وأرجو دوام المراسلة ...

وهكذا يا رفاق.. وصل قطارنا إلى محطته لهذا الكتيب.. سيكون علىّ أن أحمل حقائبى وأنزل.. لكنى ـ أعدكم ـ عائد فى المرة القادمة، ومعى عدد آخر من خطاباتكم.

فإلى لقاء

د . رفعت إسماعيل